

على جواد الطاهر

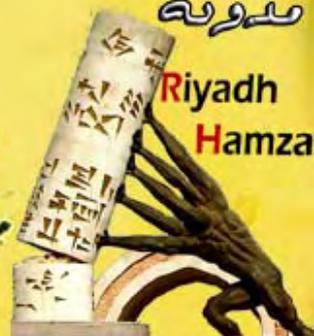
الطغرائي

حياته - شعره - لاميته
(بحث وتحقيق وتحليل)

منشورات - مكتبة النهضة - بغداد

مدونة

Riyadh
Hamza



الطفرائي

حياته • شعره • لاميته

- الطبعة الاولى - بغداد ١٩٦٣
- حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
- مطبعة دار التضامن - بغداد

على جواد الطائير

الطغرائي

حياته - شعره - لاميته
(بحث وتحفيظ وتحليل)

منشورات - مكتبة النهضة - بغداد

مقدمة

كان نظام دار المعلمين العالية (كلية التربية - اليوم) يقتضي أن يكتب الطالب في السنة الرابعة رسالتين : واحدة في التربية وواحدة في الاختصاص • وما انتهت السنة الثالثة (عام ١٩٤٤) حتى بدأنا نبحت جدياً عن عنوانين ، وكان موضوع التربية سهلاً ولم يحدث في اختياره نقاش : « مسكويه » •

أما الموضوع الأدبي فقد طال فيه الأخذ والرد والاستشارة والمراجعة ، ولم يبق استاذنا المشرف ، الدكتور محمد مهدي البصير : العباس بن الاحنف ، ولا رتبة في شعر العربي ولا الفلسفة الشعرية ، لاكثر من سبب وجيه ذكر في حينه •

وكنت أتردد على المكتبة العامة أقرأ دواوين الشعراء كلهم ، حسب تسلسلها في فهرست ، دون تمييز ، لأن الغرض الاول من تلك القراءة كان الامام العملي شعر ، عربية • وقرأت - فيما قرأت - ديوان الطغرائي •

وخفت اني استاذي أعرض عليه الرأي ، فوافق • وهكذا بدأت سلسلة

غير منقطعة من ملازمة الطغرائي : ديوانه ، حياته في المراجع ، دائرة المعارف الاسلامية •• في المصادر ، ياقوت ، ابن خلكان •• وكلما ازدادت قراءة ، ازدادت يقينا بصلاح الرجل موضوعا للدراسة ، وبأنه مظلوم بين الشعراء ، وبأنه يحقق غاية من يريد أن يتبع عن دراسة المدروس ويسعى الى أن يتجنب التكرار •

وبدأت أجمع •• وأكتب •• وحصل من ذلك دفتران غير صغيرين ••• ولقيت استاذي •• أقرأ عليه ، وبدأت ، وقد اقتنع بنجاح البحث منذ الفصل الاول ، وقال : أمل أن يكون الطغرائي موضوعك للدكتوراه •

ثم تهيأت البعثة العلمية ، ومكنت في القاهرة حينما أفدت خلاله من مكتبة كلية الآداب ودار الكتب المصرية امورا تتصل بالسلاجقة وبالطغرائي وبمعاصري الطغرائي •

ثم كانت باريس ، وعرضت فكرة دراسة الطغرائي موضوعا للرسالة الرئيسة من رسالتي الدكتوراه فأقرها أحد الاساتذة ، واستصغرها المسيو بلاشير ، وكان للاستاذ بلاشير ما أراد • وأصبح الموضوع : « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ٤٤٧-٥٤٧ » وكانت حصة الطغرائي من الكتاب حصة الاسد •

وانتهت المرحلة العلمية بسلام عام ١٩٥٤ • وعدنا الى الوطن ، ولم أفارق الطغرائي ، فلقد بدأت أدرس الشعر العراقي في العصر السلجوقي ••• والعصور المتأخرة •

ونشرت عن الطغرائي ومعاصريه هنا وهناك من مجلات بغداد ، كما نقلت الى العربية رسالة « الشعر العربي ••• » وطبعت في جزئين • ثم تأملت في شعر الطغرائي وحده ، فهداني التأمل الى آراء ودلني على مزايا ونبهني الى شواهد ، واجتمع لدي ما دعا الى تخصيص دراسة مستقلة ، ففعلت ونشرت البحث في العدد الاول من مجلة كلية الآداب (بغداد ١٩٥٩ ص ٢١٢-٢٤٣) •

ولم تستوف « لامية الطغرائي » نصيبا يذكر من هذه الدراسات ، وكان
الاستاد شارل پللا أحد المناقشين الذين نبهوا الى ضرورة عقد بحث خاص على
اللامية • حتى اذا درّستها ودرّستها اطلعت على جوانب مجهولة منها ووقفت على
أسرار من جمالها ، واتسع الوقت للتوفر على هذا البحث •

وفي عام ١٩٦٢ كتبت في مجلة كلية الآداب بحثا مسهبها عنها ، ثم نشر
منفصلا مستلا ، فلقني قبولا حسنا •

وفي العام نفسه ألفت بين أجزاء « مقالات » وشرعت في طبعه ، وقد ضم
- بعد ضم - أشياء عن الطغرائي ومعاصريه •

وكدت تعاودني فكرة تنقيح ما كتبت عن الطغرائي هنا وهناك وتوجيهه في
كتـ خص - والشاعر جدير بمثل هذا الكتاب - لان البحوث عنه تناثرت
ومرر بعد في متناول اليد ومنها ما نفذت نسخته أو كادت •

حتى اذا كنت يوما في مكتبة النهضة وفاتحني صاحبها السيد عبدالرحمن
جبوي في اعادة طبع « لامية الطغرائي » ، تطور الحديث واتسع الموضوع حتى
كتـ هذا الكتاب الذي يراه القارئ : الطغرائي : حياته ، شعره ، لاميته •

كلمة في العصر

في عام ٤٤٧ هـ دخل طغرلبك السلجوقي بغداد ، وقضى بذلك على البويهيين ، ودخلت في ملكه رقعة واسعة قوامها العراق وبلاد العجم • وتوفي عام ٤٥٥ فتولى بعده السلطنة من آل سلجوق :

٤٥٥ - ٤٦٥	ألب أرسلان
٤٦٥ - ٤٨٥	ملكشاه
٤٨٧ - ٤٨٥	محمود بن ملكشاه
٤٨٧ - ٤٩٨	بركياروق
٤٩٨ - ٥١١	محمد
٥١١ - ٥٢٥	محمود
•••	

ولم يتخذ السلاجقة بغداد عاصمة لهم ، وان أقام أكثرهم فيها مددا محدودة ، ويمكن القول ان مقرهم كان في أصبهان • وكانت الوزارة منصبا مرموقا في الدولة ، وقد يمسك الوزير ، اذا كان كبيرا ، كنظام الملك ، بمهام الدولة كلها •

وتلبي الوزارة الدواوين : الاستيفاء ، الاشراف ، الانشاء والطغراء •• والطغرائي هو صاحب الطغراء - وهي « الطرة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الغليظ ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه » (١) •

(١) ابن خلكان ١ : ٢٨٤ ، ياقوت ١٠ : ٥٧ ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طغراء • « واللفظة أعجمية محرفة من الطرة » وفي ابن جماعة انها علامة تكتب على التوقيعات •

ويضم ديوان الطغراء : الرسائل والانشاء ويتولى صاحبه شؤون الوزارة
في الصيد •

عاصر هؤلاء السلاجقة من خلفاء بني العباس :

القائم	٤٤٢ - ٤٦٧
المقتدي	٤٦٧ - ٤٨٧
المستظهر	٤٨٧ - ٥١٢
المسترشد	٥١٢ - ٥٢٩ •••

وبغداد هي مقر الخلافة ، وسلطة الخليفة دينية حسب ، والسلاطين يرعونه
ويتظاهرون باحترامه ، ولكنهم لا يتورعون عن مخالفة أمره أو اهاتته اذا اقتضت
مصلحتهم • فلم يكن للخليفة الا الاسم « لا يتعدى حكمه بابه ولا يتجاوز
جنابه » • وربما حانت للخليفة فرصة أو كان له حظ من الطماح فتململ كما
حدث للمستظهر يوما ما ، أو كما أعلنها المسترشد حربا على السلطان •

وتألف حاشية الخليفة من الوزير وكاتب الانشاء وصاحب المخزن وكاتب
المخزن واستاذ الدار •

وكان الى جوار حكومة السلطان وحكومة الخليفة امارات ذات بال في تاريخ
العصر ، أهمها في العراق : امارة بني مزيد في النيل والحلة ، وامارة بني أبي
الجبر في البطائح •

وطبيعي أن يتمتع ذوو السلطة بامتيازات واسعة وبرفاه ومال • وكان
اشعراء يكسبون قوتهم أو ما يزيد عن قوتهم عن طريق المديح وما اليه ، وكثيرا
ما يكلفهم ذلك اراقه ماء وجوههم دون أن يشعروا ، وقد يشعرون فلا يملكون
غير الشكوى •

أما العامة فهم مادة الجيش وهم الفقراء المعرضون لشتى صنوف الاذى ،
وكانت كلمة « عامي » و« سوقي » سبة • الا أن العصر لم يحل كثيرا بين الطامحين

وما راموا من مناصب مرموقة كالوزارة وما إليها • وربما تجمع عدد من هؤلاء العامة بشكل وبآخر ليتأروا لانفسهم أو ليشرروا بآراء في اصلاح شأنهم وشأن أمثالهم ، فكان من مظاهر هذه الحالة : العيارون ، الفتوة ، الباطنية •

وكانت سلسلة من النزاع تقع بين مختلف الفرق الاسلامية : الحنيفة ، الشافعية ، الخنبلية •• الشيعة •

وإذا كان العصر عصر اضطراب في السياسة والاقتصاد والادارة ، فإنه لم يكن كذلك في شؤون المعرفة (داخل الفئة التي عرفت بها وجدت في سبلها) فقد كان عصر نضج هو امتداد لنضج العصر البويعي ، وكان له آثاره وأعلامه في الفقه والتفسير والحديث والفلسفة واللغة والتاريخ والعلوم المنقولة ، منهم - على سبيل المثال : أبو اسحاق الشيرازي ، الجويني ، الزمخشري ، الغزالي ، الحريري ، معتمد الملك بن صاعد بن التلميذ •

وفي هذا العصر تأسست المدارس النظامية ، ومدرسة بغداد النظامية •

وكان للادب مكاتبه من العصر ، وكثر الشعراء كثرة مدهشة ، وزاول الشعر خلق كثير بما فيهم الخلفاء والوزراء ، والذين غلب عليهم كثيرون كذلك ، تذكر من أشهرهم من أعلام العصر السلجوقي : صردر ، البخارزي ، ابن السبل ، الأبيوردي ، ابن الهبارية ، الغزي ، البارع ، ابن أفلح ، ابن الفضل ، ابن القطان ، الحظيري ، حيص بيص (١) •

(١) للتوسع في هذه المقدمة ينظر « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي » •

حياة الطغرائي

مصادر الدراسة

(١) ديوان الطغرائي المطبوع ومما فيه : عائلته ص ٥٩ ، ١٠٦-١٠٧ ، ١١٧ ، زوجته ٨٠-٨٥ ، صلاته بساسة عصره ص ٣-٥٨ ، ٨٩ ، ١٨٢ ، ١٤١ ، صلاته بالعلماء والادباء ٨٦ ، ١٣٣-١٣٦ ، ١٤١ ، عزلته ٦٢ ، ٧٩ ، مدح اليبوردي اياه ٨٦ ، خلفه ٧١ ، ٧٨ .

ولا يغني المطبوع عن مراجعة المخطوطات * وفي مؤلفات الطغرائي الاخرى ما لا يخلو من فائدة *

(٢) ديوان الغزي (أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان ... التوفى عام ٥٢٤) : مخ * باريس ٥٥-٥٧ (= ديوان اليبوردي المطبوع ص ٤٨-٥٠) ، ١٠٢-١٠٤ (= ٧٢-٧٤) : يمدحه ويتكلم قليلا على عائلته وأخلاقه وعلمه .

(٣) السمعاني (أبو سعيد تاج الاسلام عبدالكريم بن محمد .. التوفى عام ٥٦٢) :

(أ) الانساب ، مادة المنشيء ، و ٥٤٣ أ : نسبه ، اطراء (ويظهر أن كلامه كان في الاصل أطول) ، يراجع زيدان ٣ : ٦٤ وابن خلكان ١ : ٢٨٤ .

(ب) مذييل تاريخ بغداد ، في مخطوطة مختصرة بليدن ، و ٤٣-٤٤ : أصبهان ، معارفه ، تفوقه في الشعر والنثر ، جلاله ، استشهاده عام ٥١٨ ، مختارات

من شعره ، من مصادره كتاب سر السرور •

- (٤) الحظيري (سعد بن علي •• المتوفى عام ٥٦٨) ، زينة الدهر بنص ابن خلكان ١ : ٢٨٧ (يقارن عاطف) •
x - ولم يتكلم عليه ابن الجوزي •
(٥) العماد (محمد بن محمد بن حامد ، ولد عام ٥١٩ وتوفى عام ٥٩٧) :

(أ) النصرة ، الورقة ١٣٩ أ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ب ، ١٣٩ أ ، ١٤٠ ب :
طغرائي ، عزله ، استشهاده ، وقد احتفظ بها البنداري في الزبدة
ص ١١٠ ، ١١٦ ، ١٣٢ ، ١٧٤ • أما أخبار الدولة السلجوقية فلم يذكر
الا ما تعلق بالاستشهاد ص ٩٧ •

(ب) الخريدة ، مجلدة بلاد العجم ، لم تكن نسختا ليدن كاملتين ، وكانت
ترجمة الطغرائي بين ما فقد من أوراقهما • وضمت مخطوطة مجلدة
الاندلس (باريس رقم ٣٣٣٢) صفحات من هذه الترجمة - حشرت في
المجلد غلطا ، وفيها : موته عام ٥١٥ ، مختارات من شعره ، وحفظ الصفدي
في شرح اللامية ص ٧ - فقرا نقلها عن الخريدة مما يتعلق بخدمته
السلطين ، وبراعته في الترسل والنظم وفنون العلم والكيمياء ، ومما يتعلق
بقتله (وقد نقل ناشر وفيات الاعيان في طبعة دار المأمون هذا الذي حفظه
الصفدي في هامش ترجمة ابن خلكان للطغرائي ، ولم يذكر الناشر
مصدره ، انما ظهر وكأنه ينقل عن الخريدة مباشرة) •

وفي مختصر الخريدة الذي عمله الشيخ علي رضائي ووسمه بـ « عود
الشباب » صفحات ذات بال ، في باب « فضلاء أصفهان وجرباذقان » ومنها :
نسبة الدثلي ، خدمة السلطين ، براعته ، الكيمياء ، استشهاده ، اللامية وغيرها •
وقد يحفظ الصفدي وهو ينقل عن الخريدة أكثر ما حفظه رضائي في
مختصره • ومن مقابلة « عود الشباب » نعلم أن ياقوتا روى عن « الخريدة »
دون أن ينص عليها •

وترد للطغرائي ، في الخريدة ، أخبار تأتي عرضاً في تراجم أدباء آخرين ،
كهذا الذي ذكره العماد (مخذ • أكسفورد) مما يتصل بالخمرة ، والذي ذكره في
مجلدة الشام وهو يتحدث عن الغزي وما كان بينهما من مكاتبات ص ٢٧ •

(٦) الراوندي (المتوفى عام ٥٩٩) : راحة الصدور ٢٢٩-٢٤١ : ثناء ،
٢٢٥ وزارة مسعود ، الراوندي يقرأ في حضرة سلطانه قصيدة من شعر الطغرائي
(= الديوان ٥-٨) دون أن يذكر اسمه • وقد يسوق الراوندي في معرض
كلامه على الاعلام والاحداث شعرا لا يتصل بزمانها كفعله وهو يثني على كيعسرو
فليح ص ٣٢ اذ ذكر ستة أبيات هي مطلع قصيدة للطغرائي مدح بها مجد الملك
(= الديوان ٤١-٤٢) ، وحين تكلم على سنجر ص ١٧٠-١٧١ ذكر عشرة
أبيات (= الديوان ٧٥-٧٦) • وقد نبه الناشر على هذه التضمينات •

(٧) ياقوت (أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي المتوفى عام
٦٢٦) - ارشاد ، ٥ : ٥٢-٦٠ الوحيد الذي يذكر ميلاده • ينقل عن الخريدة
دون أن ينص عليها - وقد رأينا ذلك - مؤلفاته في الكيمياء ، قتله مشدودا الى
جذع شجرة ، مختارات ، يذكر اللامية منسوبة الى العجم ، ٦ : ٣٥٨ يرثي
الابوردي (يقارن ديوان الطغرائي ص ٨٤) ، ٦ : ١٨٣-١٨٦ جوابه على تهنة
الحريري عام ٥٠٩ ، ٦ : ٢٠٨ ، ابن أخت الشاعر : مخلص الدين كاتب سنجر •
(٨) ابن الاثير (عزالدين علي بن محمد ••• المتوفى عام ٦٣٠) :

(أ) الكامل ، ١٠ : ٣٩٥-٣٩٦ سن ٥١٤ مهم لتاريخ المصاف بين مسعود
ومحمود ، قتله ، عمره ، مدة وزارته •

(ب) الاتابكة ص ٤٢-٤٣ في الموصل •

(٩) ابن النجار (محب الدين محمد بن محمود المتوفى عام ٦٤٣) : ذيل
تاريخ بغداد • مما وصل اليينا في « استفاد » الحسامي (المتوفى عام ٧٤٩) :
يسمي (؟) (= دنلي) ، ويمكن أن نلمح خلال السطور العماد وابن الاثير •

(١٠) سبط ابن الجوزي (شمس الدين يوسف قنزا اوغلي المتوفى عام ٦٥٤) : المرآة سن ٥١٤ ، الدثلي ، أسباب قتله ، خادمه وقتل السميرمي عام ٥١٦ ، حفيده . وهكذا يستدرك السبط ما فات الجد .

(١١) ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن ابراهيم المتوفى عام ٦٨١) :
١ : ٢٨٤-٢٨٧ (الحسين) ، ترجمة مهمة ، رأينا مصادر عناصرها عند العماد .
ورأينا أمثالها عند ياقوت وسبط ابن الجوزي ، وينص ابن خلكان على « أنساب »
السمعاني وزينة الحظيري ونصرة العماد ، ويروي عن أبي البركات أحمد بن
المستوفي مؤلف تاريخ أربل : أن الطغرائي كان وزيرا في هذه المدينة (!) ونقل
الخبر عنه الصفدي والبارودي من دون تحقيق ، ١ : ٤٦٠ مقارنة مع ابن
الدهان ، ٢ : ٥٣١ مسعود ، ٣ : ١١٣ ابن الشجري يروي أربعة من أبياته
(قارن الديوان ص ٦٧) .

وفي مختصر الوفيات الذي عمله البارزي و ٣٩ ب أخبار لم نجدتها فيما
بين أيدينا من نسخ ابن خلكان : دثلي ، أبيات رويت عن أسامة بن منقذ
والعزيز المستوفي .

(١٢) الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيك ، المتوفى عام ٧٦٤) :

(أ) الغيث ١ : ٦-٩ ينقل عن العماد ، ويمكن لمح ابن الاثير - وربما ابن
خلكان - خلال السطور . ولو كان الصفدي ممن راجع « الارشاد » وتنبه
الى دقائقه لما أتعب نفسه في محاولة ايجاد تاريخ ميلاد الشاعر أو تقريبه .
ويذكر الصفدي مؤلفات الطغرائي ومنها المقاطيع . ان ضخامة كتاب
الصفدي لم تنفعنا بشيء يستحق الذكر ، ولكن هذه الاخبار التي نقلها عن
غيره ، ستكون مصدرا لاكثر شراح اللامية .

(ب) الوافي ج ١١ مخ . المجمع العلمي بدمشق ص ٨٨ ينقل أخباره عن ابن
الاثير وياقوت وابن خلكان دون أن ينص عليهم ، اطراء لامية العجم ،
شرحه لها .

(١٣) ابن جماعة (القاضي عزالدين بن محمد .٠٠ المتوفى عام ٧٧٦) :
 نعليقة ، و ٧٣ أ-٧٥ ب .٠٠٠ الديلمي (؟) ، طغرائي محمود ثم مشرف ، عزله .
 ثبات رويت عن السمعاني أو عن سماع الشاعر شفاها مثل الشهرزوري وابن
 شجري وابن الاخوة ، اللامية من غير غزل .

بقيت مصادر قديمة ، ولكنها لا تكاد تعدو في مجموعها أن تكون تكرارا أو
 تلخيصا لمصادر أقدم ، كابن الاثير وابن خلكان والصفدي وهذه هي :-

ابن أبي أصيبعة : ٢٦٧ (وينظر ديوان الطغرائي ص ١٤١) - أبو الفداء
 ٢ : ٢٤٧ سن ٥١٥ - الذهبي في العبر (؟) ٢ : و ٤٥ سن ٥١٤ ، دول الاسلام
 ٢ : ٢٨-٢٩ - ابن الوردي ٢ : ٣١ سن ٥١٥ - ابن شاكر الكتبي في عيون
 الاخبار ١٢ : ٥١٦ سن ٥١٤ (نسخة انكلترة) - ابن كثير ١١ : ١٩٠ سن
 ٥١٥ - حاج خليفة في مادة ديوان ص ٧٩٨ ، وكيمياء ص ١٥٢٦-١٥٣١ ،
 ولامية ص ١٥٣٧-١٥٣٩ - الحنبلي ٤ : ٤١-٤٣ سن ٥١٤ - ابن خلدون في
 المقدمة ، كيمياء من طبعة القاهرة ٢٣٤ ، ١٩١ ، في التاريخ ٥ : ٥٠ - ابن حجلة
 (على هامش الانطاكي) ١٨٠-١٨١ - السبكي ٢ : ١٦-١٨ - الخوانساري ص
 ٩٤٨ - السيوطي في الكنز ٢١٢-٢١٤ ، ٢١٩ ، وفي التاريخ ٢٨٩ - الزبيدي في
 شرح القاموس ، مادة طغر ٣ : ٣٥١ - برهان الدين و ٩ أ-٩١ ب - شروح
 اللامية (تنظر قائمة المصادر والمراجع) - المامقاني ٣٣٦-٧ (ومن مصادره
 الشيخ الحر) .

ولم نقف في الدراسات الحديثة على شيء يستحق الذكر ، وربما كانت
 مقالة كرنكو في دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ٨٧ وبعدها من الطبعة الفرنسية
 (وتنظر الطبعة الانكليزية) خير ما كتب . وينظر ما كتبه هوتسما في
 الدائرة ٤ : ١٣٨ ب وهو يتكلم على السلطان محمود ، وما كتبه دني
 في الدائرة نفسها وفي الجزء نفسه ص ٨٦ عن الطغراء ، وينظر هارتمان
 ٦ : ٨٥٨ وبعدها و Raux في ترجمته اللامية الى الفرنسية - كلوستن ص ١٥٣

وبعدها ، ٤٤٣-٤ - نيكلسون ص ٣٢٦ - هيوار ٩٨-٩٩ - دربل D'Herbelt
٥ : ٤٧٨-٧٩ - ساسي في التراجم العالمية ٤٧ : ١٩٦-١٩٧ - شنرر ١٨٧ - برون
٢ : ٢٩٩ ، ٣٥٤ (وتنظر ترجمة الشواربي) - زنبور ٢٥٥ (وتنظر الترجمة
العربية) - دائرة المعارف الكبرى ٤١ : ٣١٨ •

زيدان ٣ : ٢٣ - البستاني في دائرة المعارف ٩ : ٣١١-٣١٣ - الهاشمي
٥٣٣-٥٣٤ - الاسكندري ٢٨٢ - الزياد ٢٣١-٢٣٣ - مظهر في مجلة الرسالة ،
العدد ٢٥٩ - انقمي ٢ : ٢٠٨-٢١٠ - نزهة الجليس ٢ : ٧٣ - العالمي في أعيان
الشيعة ج ٢٧ - البارودي في المختارات - المنتخب من أدب العرب ج ٢ -
سركيس ١٢٤١ - محمود مصطفى في الادب العربي وتاريخه ٢ : ٢٦ : واعجام
الاعلام ١٤٤ - الزركلي ٣ : ٢٦٧ ، ١٠ : ٧٤ - طه الراوي في مجلة الصبح -
مارون عبود في (مجددون ومجترون) ص ١٤٤ - الطاهر في « مقالات » -
كحالة في معجم المؤلفين ٤ : ٣٦ (وتنظر مصادره ومنها مجلة البدر التونسية) -
حتى في تاريخ العرب المطول ٢ : ٤٦٥ - شفق ١٢٨ من الترجمة العربية -
النجاري (في تاريخ أصفهان) ص ١٣٨ وهامش ص ٤٣ - صادفي (حسين نور
في « أصفهان ») ص ١٨٨ •

ومراجع عنيت باللامية وحدها ، ستذكر بالمناسبة •

سيرته

أبو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبدالصمد ، يعرف بألقاب عدة هي : العميد ، الأستاذ ، المنشئ ، الاصبهاني ، مؤيد الدين ، ولكن « الطغرائي » هو الذي غلب عليه .

ولد الحسين عام ٤٥٣هـ / ١٠٦١م في جبي^(١) من أصبهان في عائلة شريفة مجيدة^(٢) من ولد أبي الاسود الدثلي^(٣) فهو - على هذا - عربي الاصل

(١) ياقوت ، ارشاد ، ٥ : ٥٢ (وينظر الصفدي ، غيث ، ١ : ٨ « مولد طغرائي في عشر الستين تقريبا ») .
(٢) الديوان ص ١٠٦ .
(٣) الديوان ص ٥٩ ، ٧٨ .
(٤) العماد في عود الشباب لعلي رضائي ، أبو الفدا ، ٢ : ٢٤٧ ، ابن بوردي ٢ : ٣١ ، البارزي في مختصره لوفيات الايمان و ٣٩ ب ، وفي المرأة « قيل نه ٠٠٠ » . ومن المناسب أن تكون « الديلمي » التي ترد أحيانا - كما في مقطعات والمستفاد والتعليقة - تصحيفا للدثلي .
وفي محيط الفيروز اباذي « ٠٠٠ وفي شرح اللمع للاصبهاني : أبو أسود غنم بن عمرو الدثلي ، انما هو بكسر الدال وفتح الهمزة نسبة الى دثل كعنب زعي قبيلة ٠٠٠ ابن القطاع الدثلي في كنانة رهط أبي الاسود بالضم وكسر الهمزة » . وفي « لسان العرب » لابن منظور الدثل (بضم الدال وكسر الهمزة) من كنانة .
وقد يأتي نسب الطغرائي على : « دؤلي » .

وقد يأتي ايضا على : « الليثي » كما في مخطوطة لندن رقم ٧٥٣٠ التي سمت صفحات من شعر الطغرائي . وكذلك في ابن كثير ١٢ : ١٩٠ .
ومن عقد الجمان ص ٣١٤ نعلم أن الليث ودثل من بني بكر بن عبد مناف .
ينظر الفلقشندي ومعجم القبائل العربية لعمر رضا كحالة .

وليس فارسية - كما هو الشائع ، وكما جزم المؤلفون المحدثون^(٥) دون أن يستقصوا في البحث •

وأصبهان^(٦) من امارات المدن الاسلامية ، ولها من جمال الطبيعة ما بعث الشعراء على التغني بهوائها وتربتهما ، بساينها وفاكهتها ، بنهرها زندروز وعذوبته ، بمتزهاتها ومجالسها • وقيل ميلاد الطغرائي قال قائلهم :
يا بقعة هي دار الخلد ، أو خُلِقَتْ أنموذجا لنعيم دائم فيها

و « جي » أجمل ما في أصفهان :

فد اعتدلت أوقاتها وفصولها وما استكرهت يقظاتها ونامها^(٧)

★ ★ ★

(٥) أمثال هيوار ، نيكلسن ، الزيات ، الهاشمي ، محمود مصطفى (في اعجام الاعلام) ، شفق ، طه الراوي ، الفاخوري ٠٠٠ وقال العباس بن علي بن نوزالدين في « نزهة الجليس » ٢ : ٧٧ انه « عجمي اصفهاني » وقال « الشاعر ٠٠٠ الفارسي » •

ولعلمهم اعتمدوا في ذلك لقب « الاصفهاني » وهذا غير كاف ، لان العرب استوطنوا اصفهان منذ دخلها الاسلام مبكرا ، ولعلمهم اعتمدوا اسم قصيدته « لامية العجم » وما كانت هذه لامية للعجم - كما سنرى •

أما عن نسب أمه فقد قال العماد (كما جاء في عود الشباب) : « قال والدي هو نسيبنا من قبل الاحوال » • وقال في نصره الفترة و ٢٤ ب : « وكان جدي لأمي أمين الدين علي المسترقي ٠٠٠ كاتباً لشرف الملك - أبي سعد منصور بن محمد مستوفي مملكة بغداد - في ريعان عمره و عنفوان أمره • الى أن صار بعده كاتباً لخزانة السلطان محمد بن ملكشاه » • وتنظر مقدمة خريدة العراق المطبوعة ص ١٣ •

(٦) جاء في معجم البلدان : « أصبهان ٠٠٠ مدينة عظيمة مشهورة من اعلام المدن وأيمانها ٠٠٠ وأصبهان اسم للاقليم بأسره وكانت مدينتها اولاً جيا ثم صارت اليهودية ٠٠٠ وهي من نواحي الجبل في آخر الاقليم الرابع ٠٠٠ صحيحة الهواء نفيسة الجو ٠٠٠ ونهرها ٠٠٠ غاية في الطيب والصحة والعذوبة ٠٠٠ كانت مدينة أصبهان بالموضع المعروف بجي وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة ٠٠٠ قال البلاذري وكان فتح أصبهان ورسايقها في بعض سنة ٢٣ وبعض ٢٤ » •

(٧) المافروخي ص ١١٨ والبيت لابي اسماعيل بن محمد الجرباذقاني •

سـ حراً « جياً » ليس يشي رحالها وأسي حاجات بأخرى انتظامها
سـ رب مياه الزندروذ اذا اشتكت من السقم نفس - كي يخف سقامها^(٨)

وقد استوطنت أصبهان قبائل عربية منذ سنوات الفتح الأولى حتى أصبحت
- غى مر الايام - بيئة عربية ، ودارا للعلم والادب ، وكانت في العهد البويهى
- أيام ابن العميد ، مثلاً - من عواصم المعرفة المهمة^(٩) .

ترى ابن « ثلاث » بها يستفيد حديث الرسول ويتلو الكتابا
ومن فوقه ، حافظا كتابا أديبا نجيبا يباري النجباء^(١٠)

ومن المنتظر جدا أن يكون « الحسين » واحدا من « أبناء الثلاث » هؤلاء .
- و « الثلاث » مجاز فيه كناية عن التبكير في التحصيل . ومن المنتظر أن يكون
- منهم - بكل فنون معارف عصره ، ودرس اللغة والادب على شيء من العمق ،
- وعمله أعجب مبكرا بالمتبني والشريف الرضي وأحسن في نفسه من المطامح
- يتربها منه ويقربه منهما^(١١) .

والتحصيل لا يقتل الشباب في نفوس الشعراء ، وما هو ذا « الحسين »
وقد أحب فتاة كانت « المنى » في الكمال والجمال والعفاف ، وقد فاز بها « من
بن ياس وخيبة » وبعد أن « غايظ فيها أهل بيته كلهم » ، فآتست منزله وصيرته
حبه ينسى فيها همومه ، ولكن عمر هذه السعادة الزوجية كان « قصير المدى » ،
- هي الا أن احتضرت وراح الموت « يقبض كفها ويبسطها » « وقد دمعت
حزنها » ، وما هي الا أن أسلمت الروح الى بارئها فغاب الهلال و « ذوى
عصن » وأصبح العرس مآتماً فأضاع الشاعر رشده وفقد اصطباره ، ولم
- يجد - الدموع .

(٨) المافروخي ص ١١٩ .

(٩) تنظر - مثلاً - يتيمة الدهر للثعالبي ، وتجارب الامم لمسكويه .

(١٠) المافروخي ص ١١٥ .

(١١) كما يحس ذلك في شعره .

توفيت تاركة رضيعا يزيد في أحزان « الحسين » الذي ظل يحن إليها ،
وينظم الشعر الصادق في رثائها ، ويجد في زيارة قبرها بعض السلوى :

مضت حين لم أصغر فأجهل قدرها ولم أعمر الدهر الطويل فأحلما
وأقسم على ألا تسكن نفسه الى سواها ••• ولكن ضرورات الحياة عدلت
من رأيه فتزوج ثانية ورزق الولد (١٢) •

ذلك ان شواغل اخرى كانت متمكنة من نفس أبي اسماعيل ، وتحته في
طريقه لتيل السها • وكان عليه - في سبيل ذلك - أن يستعين بالمتنفذين من رجال
عصره •

١ - ومن أوائل من قصد : « أبو المحاسن معين الملك محمد بن فضل الله » وهو
همام ماجد ملأ « في ديوانه العين والصدرا » •

قصده ، وخدمه ، وظل يسعى المتقرب منه والاستعانة به ، وقد بلغ جانبا من
مراده ، وجدد السعي ، فحصل على خير كثير ، وكان أهم ما يهيمه الارتقاء في
المناصب ، وتقديمه على سواه واطاؤه حقه الذي يراه لنفسه ، ويرى انه أفضل
من غيره فيه •

يقصدته كلما هم بأمر أو ألم به مكرود ، فيجد عنده ما يسره ويسري عنه :

أقول لاحداث النوائب اذ عدت
عليّ وأبدت حدّ أنيابها العصل
اليك فاني لا أبالي بضيقه
يفرّجها رأي الكريم « أبي الفضل »
تعودت منه أن ألمّ بابسه
شريداً فأغدو عنه مجتمع الشمل

(١٢) هذه المعلومات خلاصة لما جاء في شعر الطغرائي ص ٨١-٨٥

من ديوانه •

ويزيد في الخطاب ، ويكرر الطلب :

أترضى لثلي أن يعيش مطرحا

لدى معشر لا يعرفون له قدرا

قلوبهم من جهلهم في اكنة

وأذانهم من غيهم ملئت وقرا

* * *

يغالون بي من غير علم وانما

يرون مقامي بين أظهرهم فخرا

* * *

وما أنا الا كالكريمة كلما

رأت كفوؤها في المجد أرخصت المهرا

فهل فيك أن تفتكني من أسارهم

فاني بين القوم من جملة الأسرى

فاستجاب لطلبه ، وأحسن اليه ، ومد يد العون ، وقربه وفسح له في

مجالتي الديوان •

- وكان من أنضال معين الملك أن قدم اشاعر الى (نظام الملك) ، وكان التقديم

في نظام الملك فوزا كبيرا ، لان نظام الملك كل شيء في العصر وفي السلطان •

وقد ذكر الطغرائي هذه النعمة ، وقرنها الى غيرها ، وشكر :

جناب « نظام الملك » بحر وردته

على ظمأ مني وأنت له جسر

وأنت الذي أوردتني بعدما انطوى

على غلة صدري وطال بي العصر

وما يهتدي صرف النواذب لامرئ

وأنت له من دون ما نابه ستر

وتقرب منه وتقرب ، حتى عد عليه ، ولقي في سبيل ذلك أذى أعدائه
وتهديداتهم • ولكنه أصر وأصر :

توعدني في حب آل محمد
وحب « ابن فضل الله » قوم فأكثروا

فقلت لهم : لا تكثرُوا ودعوا دمي
يراق على حبي لهم وهو يهدر
وقد يجري بينه وبين « حاميه » ما يجري ، فيلقى الشاعر اهمالا ويصبيه
نكد في معاشه ، فيرسلها مدحا واعترافا وعتابا واستعطافا :

هو الشوق حتى ما تقر المضاجع
وبرح الهوى حتى تضيق الأضالع

* * *

ولولا معين الملك أخفق طالب
وردت على أعقابهن المطامع

* * *

ألا يا معين الملك دعوة عاتب
على الدهر أوهى مروتيه القوارع
أقصى ويدعى من سواي وينثني
بريح وفي حظي لديك وضائع
أما أنا أهل للجميل لديكم
حقيق بأن تسدى اليّ الصنائع

* * *

أما. أنا موزون بكل مؤارب
يكاتم ما في قلبه ويخادع

فظهره سلم لديك مواع
وباطنه حرب عليك منازع

* * *

وأعظم ما بي انني من فضائلي
حرمت وما لي غيرهن ذرائع
اذا لم يزدني موردي غير غلّة
فلا صدرت بالواردين المشارع

وان لم تجد في السحب الا صواعقا
فلا جادت الدنيا الغيوث الهوامع
أترضى العلى أني علقت حبا لكم
فخانت قواها في يديّ القواطع
وحاشي مرجي نيلك الغمر أن يرى
كقابض ماء لم تسعه الاصابع
فما لك تعصي المجد فيّ وانما
تطاوعه فيما ترى وتتابع

وما لك تزوي الوجه عني وتزوي
ووجهك وضاح ونشرك ضائع
وكنت ارجي أن أنال بك السها
فها أنا نجمي هابط فيك راجع
أذل لمن دوني وأعطي مقادتي
فاغضي وخذ الفضل أغبر ضارع
وهل نافعي أني أمت بحرمة
اذا لم يكن من حسن رأيك شافع

وفي هذه العينة عرض حاله ، وأبان السبب الذي أدى الى ألمه ، وهو في
بيت عينه الدافع الى النظم والباعث عليه - وفيها نفس من أنفاس روميات

بي فراس *

لقد أبعد أبو اسماعيل ، وقرب غيره ، تلك مصيبة المصائب ، وهو الرجل الجدير بالفضل الثمين بالجميل ، المتمكن التقدير ، بل المخلص الذي لا يضمر لمعين الملك غير الاحترام الحق والأكبار الصادق ، المخلص يؤخر ويقدم عليه من سواه ، من كل منافع مخدوع ، ذلك أمر موجه ، وأكثر من موجه •

ولابد من أن يكون سبب هذه الكثرة ، وهذا التغير الذي طرأ من أفاعيل الحاقدين الحاسدين ، ولقد بلغوا مرادهم وجعلوا معين الملك يشيح بوجهه عن شاعره ، وجعلوه ينزل له عن منزلته ، وأوقعوا « الحسين بن علي » في قلق واضطراب وأسى وحزن - ولكنه يأمل على أي حال ، ويسعى الى الاستصلاح ، وله من شعره معين •

وما هي الا أن يرضى المعين ، لانه « كريم » ولان الطغرائي يذكر ويشكر ، وكل ما في أمره أنه يطمح الى أشياء كثيرة ، لا تنتهي •

وبينما كان الطغرائي في عنفوان الامل ، اذ تحل « بحاميه » نكبة عظيمة ويودع الحبس ، ويكاد يقضى على حياته ، فيشتفي الاعداء ، ويفرحون بنجاح السعيات والقالة • فيتألم الطغرائي أشد التألم ، وتصيح نكبة « المعين » نكبته ، لانها أصابت طماحة ، ولمعين الملك في نفسه مكانة سامية ، وفي قلبه منزلة رفيعة ، انه أكثر من محسن ، ثم ان نكبة المعين نكبة الطغرائي ، فقد ألبت عليه أعداء المعين ، فجاءوا يشتمون به ويسخرون منه ، ويتدرون به ، فيزداد الشاعر ألماً الى ألم وحزناً على حزن :

أقول وصرف الدهر يحرق نابه

عليّ وتستولي على فواقره

وقد صرّدت في جانبي نباله

وأولع بي أنيابه وأظافره

خذيبي وجزيني صفاراً وإشري

بالحم امرىء لم يشهد اليوم ناصره

فبعد « ابن فضل الله » طأطأ منكبي
يد الدهر مذ أولى عليّ قوافره
وأثر في عودي النيوب وطلما
تمنع واستعصى عليها مكاسره
واسلمني للنائبات بعاده
كما أسلم العظم المهيض جبايره
وراع جنائي نبأ الخطب بعده
ويا ربما هانت عليّ زماجره
لقد حاز نعماء رجال صفت لهم
أصائل عيش أرمضته هواجره
جزتهم جوازي السوء عن حسناته
ودارت عليهم بالثون دوائره
ومن يجحد النعمى التي هو ربها
فأني على العلات ، ما عشت ، شاكره
لقد كنت في غيطاء ممطولة الذرى
بيت عليها النجم وهي تساهره
فلما رماء الدهر أصبحت بعده
بمستن سيل الذل تطغى زواجره
ويلتفت الى المعين نفسه وقد احتواه السجن ، وانقلب عليه الصديق ،
وشمت به العدو ، يلتفت اليه يصبره ويعزيه ويشد من عزمه ويوسع في أمله :

نصبراً معين الملك ان عنّ حادث
فعاقة الصبر الجميل جميل

★ ★ ★

أما لك بالصديق يوسف أسوة
فتحمل وطء الدهر وهو ثقیل

وما غض منك الحبس والذكر سائر
طليق له في الخافقين ذميل

* * *

ولا شئت الدنيا بيومك انما
بقاؤك فيها غرةٌ وحجول
ولا متُ أو ألقى لحظك دولة
وحظ الاعادي رنةٌ وعويل

ثم كان عليه أن يدفع عنه ، ويرد الآثمين ، ويعرب عن مدى اخلاصه :

ومعرض بأبي المحاسن بعدما
عثر الزمان به وغير حاله

* * *

قد قلت لما سل فيه لسانه
سفهاً وعارض بالمصون مذاله
مهلا ، فقد أوتيت بسطة جاهه
واجل منه ، وما عشت خصاله

هذا ما نفهمه من شعر الطغرائي نفسه (١٣) ، ونفهم من التاريخ أن معين
الملك المذكور هو سيد الرؤساء بن كمال الدولة أبي الرضا فضل الله بن محمد
صاحب ديوان الانشاء والطغراء وأحد مؤيدي دولة نظام الملك المقربين . وكان
سيد الرؤساء ينوب عن أبيه وكان مقبلاً مقبولاً بلغت مرتبته من اصطفاء السلطان
(ألب أرسلان) اياه الى غاية لم يبلغها أنيس ، وزادت هذه المنزلة بعد أن صار
ختناً لنظام الملك وتزوج ابنته وحدث - بعد ذلك - أن اتصل بخدمة
السلطان ، عميد الدولة ابن بهمنيار فتصادق ورئيس الرؤساء على عداوة نظام
الملك فكبا . . . وسجنا . . . وسملا . . . وسقطت منزلة كمال الدين ونكبتة تكبته . . .

(١٣) الديوان ص ٤٣-٥٤ .

وبولى مؤيد الملك بن نظام الملك مكان كمال الدولة من ديوان الانشاء
والطغراء (١٤)

والطغرائي صادق اللهجة وما أخبرنا به عن اخلاصه في الدفاع عن سيده
والاسي عليه . ولكن الذي نعرفه ايضا أنه مدح نظام الملك وابنه مؤيد الملك ،
وقد يكون شطر من هذا المديح مما نظمه في أيام الصفاء وفي أيام عز معين الملك ،
ولكن انذي لا شك فيه أن شطرا آخر منه يرجع الى ما بعد النكبة ، واذأ فقد
أصلح أمره مع أهل الكلمه العلاء

وكما خدم الطغرائي الرؤساء والوزراء ، خدم السلطان ملكشاه بن
أب أرسلان (١٥)

ولدى موت ملكشاه عام ٤٨٥ ١٠٩٢ واستداد التراع بين ولديه بركيارق
ومحمد ، كان الطغرائي أقرب الى اماسي (١٦) . وقد أقرن هذا التراع بتنافس
سديد بين صدرين كبيرين هما مؤيد الملك وزير بركيارق ، ومحمد الملك
المقرب من أم السلطان ، وقد انضم مؤيد الملك الى محمد واستاده على حرب
أخيه ، فكان أن أخذت أصفهان وقتل محمد الملك عام ٩٢٠

ويبدو أن الطغرائي ترجح بين مؤيد الملك ومحمد الملك بالمنصب الآكد ، فأغضب
ذلك مؤيد الملك ، واضطر الشاعر الى الاعتراف والاعتراف (١٧) ، ولعله نجح في
مساءه ، لأننا نراه يرثي الوزير لعن قله عام ٤٩٤ بقصيدة طويلة مخلصه (١٨) .

(١٤) العماد في النصره وعنه في الزبدة ص ٥٩-٦٠ وقد خلط صاحب
أخبار الدولة السلجوقية « ص ٦٨-١١٩ بين الكمال وولده
(١٥) العماد في عود الشباب و ٧٨ أ الصفدي في الغيث ١ ٧ نقل
عن الخريدة

(١٦) الصفدي الغيث ١ ٨ نقل عن الخريدة الذهبي العبر (٩)
٢ ٥٤ دول الاسلام ٢٧٢ ياقوت في الارشاد
(١٧) الطغرائي في ديوانه المطبوع ص ١٨-٢٦ ٢٦-٣١ ٣١-٣٤ ٤٣-٢٧
(١٨) الديوان ص ٣١-٣٤ وقد جاء في الديوان أن تاريخ القتل هو
سنة ٤٤٠ وهذا خطأ بين

ولا نعلم شيئاً عما كان يفعله الطغرائي بعد هذا التاريخ ، وربما أمكن القول بأنه كان يشغل أعمالاً تتصل بالانشاء والطغراء ، وانه في تاريخ ما عزل عن عمله .

وفي عام ٥٠٤هـ / (١٩٠)م رفع الى أحد السلاجقة قصيدة ذكره فيها بخدماته السابقة وشكا اليه ما ناله من حيف ، وطلب منه منصباً ينقذه من « الضر الذي أودى به » . وربما كان من آثار هذه القصيدة أن أصبح نائباً في ديوان الطغراء الذي كان يشغله الامير العميد في وزارة الخطير (٢٠) .

ويخبرنا العماد أنه عندما توفي العميد سنة ١١١١/٥٠٥ « جلس مكانه في ديوان الطغراء وصدر الانشاء الأستاذ أبو اسماعيل الكاتب الاصفهاني . وكان ذا فضل غزير وأدب كبير ، تولاهما بالأصالة متصدراً في دست العلاء وكان اذا أنشأ تروى بطياً وتفكر ملياً وغاص في بحر خاطره ثم أتى بالمعاني البديعة والاستعارة الغريبة » (٢١) « ولم يكن للدولتين : السلجوقية والامامية من يضايه في الترسل والانشاء » (٢٢) .

ولم يدم له عزه هذا ، فقد بدأ المناوئون يسعون به ، واشتدت عليه السعيات ، فحدّ نفوذه وكسف جاهه ، وهم بالاعتزال لولا ولعه بالمنصب ، ولولا أمله بتغير الاحوال (٢٣) .

وفي سنة ٥٠٥ نفسها ، حل به - وهو بمدينة السلام - « خطب عظيم » فقد عزل وعلاه من دونه ، وتكر له أصدقاؤه ، وثقلت عليه الإقامة ببغداد ،

(١٩) الصفدي ، غيث ١ : ١٩ (وينظر الديوان ص ٨-١٠) .

(٢٠) بندراري ص ١١٠ . وقد وزر الخطير عام ٥٠٤ (ينظر ابن الاثير) .

(٢١) بندراري ص ١١٠ ومن تمام الخبر « وكان مع ذلك بطيء القلم كليله ،

ملتناح الخط عليه » (!)

(٢٢) العماد في عود الشباب وفي شرح الصفدي على اللامية ، وينظر الارشاد والوفيات . والمقصود بالدولة الامامية ، دولة الخليفة تميزا لها عن دولة السلطان .

(٢٣) ينظر الديوان ص ٥٩ . ولا بد من أن يكون الوزير الخطير بين

كبار الحاقدين .

نصب قصيدتين هما من خير ما قال : امتزج فيهما الواقع بالمثال ، والعقل بالقلب ،
وحكمة بالطيش ، والحرب بالسلم ، والطموح بالقناعة ، والتواضع بالكبرياء •
وقصيدتان هما : اللامية المشهورة :

أعانة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل
ورثية لا تقل عنها في الاعراب عما اختلج في ذلك القلب الجريح من ألم
ويخط ، ومطلعها (٢٤) :

عاب به داعي الهوى فأجابا وعاوده نكس انصبا فتصابي
وفيهما ثورة على العراق وأهل العراق :

... ملكت نوائي بالعراق وملتي رناتي وكانوا بالعراق طرابا

... زائر يغشى جنابي لحاجة * * * ولا أنا أغشى ما أقمت جنابا

... الربع لم يخلق بنوه أعزة * * * كراماً ولم تثبت قناه صلابا

... الغدر لما فتن البحث عنهم * * * أدرك وميضاً خلباً وسرابا
وعتاب على الخلافة :

... عجباً حتى الخلافة ما رأت لحتي أن أجزى به وأتابا
... ترع لي نصحي القديم وصحبي أخوض غماراً أو أروض صعبا
... عري لقد ماحضتها النصح باذلا لوسعي وقد ردت اليّ منابا

(٢٤) وفي القصيدة هجاء لشخص اسمه « زريق » يبدو أنه كان على حظ
من نفوذ ، في دولة الخليفة (٤) •

عتاباً وهل يخشى اللثيم عتابا ليس زريق لم يخف أن أمضه
سهماً من العتب المض صوابا تصامم عني أو تعامى ولم يخف
وراعيته لما شهدت وغابا رفيت بعهد كان بيني وبينه
وبيني مقامات بمصر خطابا وكذبت أقواماً حكوا أن بينه
بأشلائه ربد النسور سغابا ولو صح ما يعزى اليه لحلقت
ولاء أمير المؤمنين كذابا وكيف يرّجى من يكون ادعاؤه
... في الاصل ريد ، ووردت « زريق » و « ربد » في مخطوطة بيروت « فلانا »
... ومعنى زهم سمينة •

يا ليت نصحي كان غشاً ، وطاعتي
كما صار آمالي غروراً وخدمتي
ويا ليتني دامت فيهم معاشراً
تركهم شوساً علي غضاباً

والايات صريحة في التعبير عن صلة الطغرائي بالخلافة ، وشدة هذه الصلة
ايضا ، وكان ذلك في عهد المستظهر •

وطبيعي أن يعترزم الشاعر الهجرة ويتذكر الوطن ، ولعله نفذ العزم ورحل
الى أصفهان ، ولعله أمضى فترة متعزلاً ومنصرفاً الى الكيمياء والتأليف فيها (٢٥) •
وهيات ، فقد كانت همته ترى في العزلة مقاما على الهوان (٢٦) فعاود السعي
واصلاح الامور ، حتى اذا كان عام ٥٠٩ رأينا القاسم بن الحريري يكتب اليه
يهنئه بولاية الطغراء بأصفهان (٢٧) •

وفي هذه الايام وحوالي عام ٥١٠ رزق علياً ، وفرح وشكا ، ولم يكن مرد
الشكوى الفقر أو العزل وانما الشيخوخة وحرص الآباء :

هذا الصغير الذي وافى على كبري
وافى وقد أبتت الايام في جسدي
أقرّ عيني ولكن زاد في فكري
ثلما كذلّم الليالي دارة القمر

* * *

سبع وخمسون لو مرت على حجر
فزاد حرصي على الدنيا وجدد لي
أضوي عليه وأخشى أن يعاجلني
وأشتهي أن أراه وهو مقبل
أحيا مآثر آبائي وأشبههم
لبان تأثيرها في صفحة الحجر
ضناً بمالي واشفاقاً على عمري
يومي ولم أقض من ترشيحه وطري
غض الشباب خضيب الوجه بالشعر
في مجدهم واقفني في هديه أثري (٢٨)

(٢٥) تنظر مخطوطة باريس في الكيمياء •

(٢٦) الديوان ص ٧٩ •

(٢٧) ياقوت ، الارشاد ٦ : ١٨٣-١٨٦ (= ١٦ : ٢٩ من ط • المأمون) ؟

(٢٥) تنظر مخطوطة باريس في الكيمياء •

وفي عام ٥١١ يتقدم في مدارج الإدارة شخص سميرمي^(٢٩) فيصبح مستوفيا
 - شخص الفعلية على زمام الحكم • وكان السميرمي يبغض الأستاذ أبا اسماعيل
 - وحده الذي بقي من القدماء • ولما لم ير أعداء - الطغرائي - في فضله
 عداً ولا على علمه من القدرح مكننا ، أشاعوا بينهم أنه ساحر ••• وان مرض
 - (محمد) ربما كان بسحره ، وانه ان لم يصرف عن تصرفه فلا أمن
 - مرد ، فبطلوه وعطلوه واعتزلوه وعزلوه « (٣٠) • وعاد الخطير الذي كان
 يربى • يسد الطغراء بخطه •

ويمكن رأي الطغرائي بالخطير حسناً ، وهو القائل فيه :

- خطير فجة وعمامة ومنسازل مرفوعة الأساس
 - رجعت الى الكرام فطاعم ما بين أهل المكرمات وكاسي^(٣١)

وفي هذه السنة أي في سنة ٥١١ نفسها ، توفي السلطان محمد وتمكن ابنه
 حميد من السلطنة بعده^(٣٢) ، وأناط بالطغرائي ديوان الطغراء والانشاء ، وظل
 - حتى أمره السلطان بملازمة بيته^(٣٣) و « استقر الشهاب أسعد في مكانه
 - نصب في منصب ديوانه »^(٣٤) • وربما كان هذا من بعض دسائس السميرمي
 •

ويمكن مطامح الطغرائي لتستجيب لهذا الامر ، فقد قصد الموصل - حيث
 - مسعود بن السلطان محمد - وكان صغيراً^(٣٥) ، ابن احدى عشرة

(٢٩) ينظر البندازي ص ١١٠ ، وسيرد كلام عليه •

(٣٠) بندازي ص ١١٦ •

(٣١) الديوان ص ١٢٨-٩ • وفيه اشارة الى بيب الحطيئة المشهور :

- ككازم •••

(٣٢) ينظر الصفدي في الغيث ١ : ٨ ، ١٩ •

(٣٣) التعليقة و ٧٤ ب •

(٣٤) عود الشباب و ٧٨ ب •

(٣٥) عود الشباب و ٧٨ ب ، الصفدي في الغيث ١ : ٨ •

سنة (٣٦) ، ويدبر له الملك في حكم الموصل وأذربيجان أتابكه جيوش بك (٣٧) ، وكان محمد - ابن الشاعر - يشغل الطغراء (٣٨) في مملكته ، ولم يُخف الشاعر قصده من هذه الرحلة ، فكان أن قال مخاطباً الملك مسعوداً :

••• ان الهوى والرأي ما لا نحوكم بركائبي ، وهوى الرجال فنون
أبلغ نهايات العلى وسجيتي تأبى التوسط ، والتوسط دون
واسلم لادرك فيك ما أملتة ظناً ، وظن الالمعي يقين (٣٩)

وتحقق له بعض هذا العلى اذ استوزره مسعود (٤٠) « وأصبح بالمؤيد مؤيدا
وسداده مسددا » (٤١) .

ولكن الطغرائي الذي ظهر في نويته من الحريصين على سلامة البيت السلجوقي ، ومن دعاة وحدته ، لم يلبث أن غير رأيه وانضم الى المؤامرة التي كان يحوكمها ديبس بن صدقة المزيدي - ملك الحملة ، « ويكاتب - بها - جيوش بك ويحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة ••• فحسن - الطغرائي - ما كان ديبس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته (٤٢) » .

« وظهر ما هم عليه من ذلك ، فبلغ السلطان محمود الخبر ، فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ، ويعددهم الاحسان ان أقاموا على طاعته وموافقته ، فلم يصغوا الى قوله ، وأظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه ، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس ، وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود ،

(٣٦) ابن الاثير ١٠ : ٣٩٦ .

(٣٧) ابن الاثير .

(٣٨) ابن الاثير ١٠ : ٣٩٦ ، التعليقة و ٧٤ ب .

(٣٩) ديوان الطغرائي ص ٨ .

(٤٠) عود الشباب و ٧٨ ب ، ابن الاثير ١٠ : ٣٩٥ سن ٥١٤ ••• « بعد

أن عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة » .

(٤١) عود الشباب و ٧٨ ب .

(٤٢) ابن الاثير ١٠ : ٣٩٥-٦ ، سن ٥١٤ .

حتى سمعهم وأسرعوا السير اليه ليلقود وهو مخبئ من العساكر ، فاجتمع اليه
 حقه عشر ألفا « (٤٣) . وانلقوا عند « أسد آباد » قرب همذان (٤٤) . وسط
 الـ الاول من ٥١٤ « واقتلوا بكرة الى آخر النهار ، وكان البرسقي في مقدمة
 حصن محمود ، وأبلى يومئذ بلاء حسنا ، فانهزم عسكر مسعود آخر النهار وأسر
 جماعة من أعيانهم ومقدميهم ، وأسر الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود (٤٥)
 - وكان أول من أخذ « (٤٦) » فأخبر الوزير كمال الملك - السمرمي - به
 - شهاب أسعد - وكان طغرائيا في ذلك الوقت نيابة عن النصر - أخي كمال
 - : « هذا الرجل ملحد » فقال الوزير : « من يكن ملحدا يستحق أن

(٤٣) ابن الاثير ١٠ : ٣٩٥-٦ ، سن ٥١٤ .

(٤٤) بنداري ص ١٣٢ (= ص ١٢١ من ط ٢) .

(٤٥) ابن الاثير ١٠٠ . وتحديث العماد عن المصاف ١٣٩ أ - و ١٤٠ من
 عشرة فقال : « وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة جرى بين السلطان محمود وأخيه
 - مسعود مصاف بقرب همذان وكان النصر فيه للسلطان ، وذلك أن الملك
 - مسعود كان مسلما الى الامير جوشبك وهو أتابكه في الموصل ، وعسكرا الشام
 - بكر في خدمته ، وهو ينعت بملك الغرب لحد مملكته ، فجمع أتابك
 - جيس بك جيوشا كثيرة وجمعا جما غفيرا وطمع في أخذ السلطنة وجعل الاستاذ
 - تدين الطغرائي وزيرا لمسعود ولم يعلم أنه لا يتمكن فيها من مسعود ،
 - سلطان بجنده وحشره وطى طريق الطمع اليه ونشره و(راعته) جيوش
 - حبيبت فانزعج لها وتحرك وأخذ عدته للحرب فمأبقى ممكنا ولا ترك ،
 - حتى يومه المسفر ليله المعتكر لما حضر المعترك ، وبرز في حديد لمع شعاعه خرق
 - أعجاج وهتك ، ٠٠٠ وجاء جوشبك بمسعود تحت جثره كالقمر في الهالة ،
 - صطف الجمعان ثم كاد أن يجتمع الصفا وودنا أن يلتقي البحران ويلتطم
 - بصر مسعود بأخيه محمود فحن اليه وضبطه جوشبك فلم يعرج عليه
 - ايجي ايجي ، وهي كلمة بالتركية للاخ الكبير ، فتنشوش على جوشبك
 - حبيب من قدمه من التدبير ، وساق مسعود ووقف الى جنب السلطان محمود أخيه
 - تنيب والسلب جميع ما كان معه من جنوده ومواليه ، فأول من أخذ
 - الطغرائي ٠٠٠

بندر البنداري ص ١٣٢-١٣٣ وأخبار الدولة السلجوقية ص ٩٦-٩٧ .

(٤٦) بنداري ص ١٣٣ .

وتذكر المرأة أنه « هرب يوم الواقعة فأخذه غلمان الوزير ٠٠٠ » .

يقتل « (٤٧) » وقد أقام أقواما فشهدوا عند السلطان محمود أن الطغرائي زنديق وانه لا يتدين بدين الاسلام « (٤٨) » فقال السلطان : « ... قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده » (٤٩) « وأمر بقتله » (٥٠) فقتل - أو ذبح - بين يديه صبوا في ربيع الأول (٥١) من عام ٥١٥ (٥٢) و « كانت وزارته سنة وشهرا » (٥٣) و « قد

(٤٧) بنداري ص ١٣٤ . وفي الطبعة الثانية ص ١٢١ : « يستحق أن يقتل ظلما » ، وليست « ظلما » معقولة في مكانها ، والصحيح ما جاء في البنداري ط ١ « ٠٠٠ » ، فقتل ظلما » ومثله في « أخبار الدولة السلجوقية » التي نقلت الخبر نصا كما في البنداري ط ، ١ . ومثله كذلك في ابن خلكان . أما في أصل النصرة و ١٣٩ ب « من يكن ملحدا يستحق قتله ، فقتله ظلما » والبنداري ط ، ١ قريب منه .

(٤٨) المرأة ط . شيكاغو ٨ : ٥٦ .

(٤٩) ابن الاثير ١٠ : ٣٩٦ .

(٥٠) وفي المرأة ٨ : ٥٦ « فعاجله بالقتل » . وفي رواية اخرى ما يشير الى أنه عفا عنه ولكن السمرمي دس عليه فعاد فقتله .
(٥١) العبر مخ . باريس ٢ : ٤٦ و ٥١٤ سن .

(٥٢) السنوات التي ترد تاريخا لوفاة الطغرائي هي : ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٨ ، تقبل منها الـ ٥١٥ لانها وردت في أكثر المصادر وأوثقها مثل السمعاني في الانساب ، (برواية ابن خلكان ١ : ٢٨٤) ، والعماد في الخريدة على الورقة ٥ ب من مخطوطة باريس ٣٣٣٢ (وعن الخريدة نقل الصغدي ١ : ٨) ، وياقوت ، ارشاد ٥ : ٥٢ (= ط . المأمون ١٠ : ٥٩) ، وأبي الفداء ٢ : ٢٤٧ ، « وهكذا ذكره القاضي شهاب الدين » . ابن جماعة و ٧٥ أ ، حاج خليفة .
ولا تقبل الـ ٥١٣ فقد وردت غير واضحة عند ابن خلكان ١ : ٢٧٨ ، ورواها عاطف بك في « أدبيات اللغة العربية » نقلا عن « زينة الدهر » ، وزينة الدهر مفقود (!) . ومثله الميناوي ص ١٩٤ وسادق ١٨٨ - ووردت في نصرة الفطرة تاريخا للمصاف .

أما الـ ٥١٨ فقد وردت عند ابن خلكان ممرضة بـ « وقيل ٠٠٠ » وقد كفانا كرنكو في دائرة المعارف الاسلامية مؤونة دفعها ، اذ نبه الى أن قتل السمرمي كان عام ٥١٦ . وعجيب أن ترد هذه السنة في مختصر مذيّل السمعاني ، مخطوطة ليدين M2 : 29 ص ٤٣ ، ومخطوطة نبد العجم في المتحفة البريطانية رقم ٣١٦٤ .

أما عام ٥١٤ فهو العام الذي ذكر فيه ابن الاثير تفصيلات مؤامرة جيوش بك ودبيس على السلطان محمود . . . ثم المصانف . . . وقتل الطغرائي (وينظر =

حوزة الستين سنة « (٥٤) » .

تري ، أحق ما رووا من أن الطغرائي كان ملحدًا ، زنديقًا ، لا يدين الإسلام؟! ان ذلك تليفق لا غبار عليه ، فالطغرائي مسلم دون ريب ، ولو وقفت سنة عند الاحاد لقلنا ان مآناه تشيعه (٥٥) ، وطالما اختلطت كلمة الاحاد - في العصر - بالباطنية والتشيع ، حتى قال الخوانساري : « ان من أقوى الامارات تشيع هذا الرجل نسبة الاحاد اليه » (٥٦) . وما كان دين الطغرائي يوما مجالس ، وكثيرا ما عقب المؤرخون بأنه : « قتل مظلوما » (٥٧) ، ومنهم من عده نهيدا « (٥٨) » .

ولو صدرت التهمة من انسان غير السمرمي لاستحقت العناية ، وانها خرجت من رجل « كان مجاهرا بالظلم والفسوق » (٥٩) فمن العبث يتوهم عندها وأخذها سببا للقتل ، لان هناك ما هو أهم وأعقل ، فلقد كان

= أبو الفداء ٢ : ٢٤٧) وذكرها ابن خلكان مسبوقة بـ « وقيل . . . » فمن المحتمل ان يكون عام ٥١٤ عام الاستعداد للمصاف والمصاف ، وليس عام القتل .

(٥٣) ابن الاثير . . .

(٥٤) ابن اثير ، ياقوت ، ابن جماعة .

ولا ندري مصير ابن الطغرائي - أبي المؤيد محمد ، كما اننا لا نعرف شيئا عن « علي » الذي رزقه وقد مرت به الـ ٥٧ ، ولا نعرف شيئا عن اسماعيل ، بل كنا نعلم عن طريق ياقوت : ان أبا اسحاق يحيى بن اسماعيل كان يستمع - شعر جده ويرويه .

ويذكر سبط ابن الجوزي ج ٨ سن ٥١٤ : ان الطغرائي هو جد وزير ناصر غازي بن صلاح الدين رحمه الله واسمه محمد بن الحسين بن محمد بن حسين الطغرائي ولقبه نظام الدين » .

وللطغرائي ابن اخت هو مخلص الدين ، كان كاتب سنجر (ياقوت - ٢٠٨) .

وفي الموصل اليوم مسجد يسمى مسجد الطغرائي (ينظر داود جلبي) .

(٥٥) ديوان الطغرائي ص ٥٢ ، ١٣١ .

(٥٦) روضات ٢٤٨ .

(٥٧) العماد ، ابن الاثير ، ابن خلكان .

(٥٨) العماد في الخريدة (ينظر غيث ١ : ٨ ، عود الشباب و ١٩ أ) ،

ويصبح « الشهيد » من بعض ألقابه ، تنظر مخطوطة المتحف البريطاني ٧٥٣٠ .

(٥٩) المرأة ، عيون الاخبار ج ١٢ .

الطغراني « فاضلا ، واسع الاطلاع ، قديما من بقايا السيوف في المملكة » (٦٠) ،
وقد قال منذ عام ٥٠٥ :

ما كنت أوتر أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الاوغاد والسفل
تقدمتي اناس كان شوطنهم وراء خطوي اذ أمشي على مهل

وفهم السميري الايات على انها تعريض به (٦١) ، وليس ذلك بعيد
جدا ، فقد كان الطغراني يحقره ويستصغره (٦٢) .

ولما كان المصاف ، خاف أعداء الطغراني (٦٣) وخشوا اقبال السلطان
عليه (٦٤) فكادوا له ودسوا حتى رموه بالالحد (٦٥) وعملوا على قتله ، واعتمدوا
هذه الحجة (٦٦) ، وما كانوا لينجحوا لو لم تلق دعاوتهم هوى من قلب السلطان
محمود الذي كان ينقم على الطغراني موقفه وتحريضه أخاد عليه (٦٧) .

(٦٠) العماد في النصره وعنة في الزبدة .

(٦١) المرأة ، مخ . باريس ٥٩٦-٥٩٩ « ٠٠٠ » ويقال ان السميري انما

قتله لهذه الايات لانه عرض به « .

(٦٢) المرأة ٨ : ٥٧ (ط . شيكاغو) .

(٦٣) النصره و ١٣٩ أ - ١٤٠ ب .

(٦٤) النصره و ١٣٩ أ ، مختصر الوفيات و ٣٩ أ .

(٦٥) عيون الاخبار ج ١٢ مخ . اكسفورد .

(٦٦) ابن خلكان .

(٦٧) ذكر سبط ابن جوزي في المرأة ٨ : ٥٦ (شيكاغو ، وتنظر حيدر

آباد) : « وكان السلطان محمود قد نسب خروج أخيه مسعود الى الطغراني ٠٠٠

حكى ابن السمعاني في الذيل أن السلطان محمودا ٠٠٠ جلس يوما في قصر فيه

عصافير فقال : آذتنا هذه العصافير . فقال له خواصه : يأمر السلطان بعض

الفراشين يصعد اليها بسلم فيرمي أعشاشها ، أو يأمر بعض الغلمان أن يرميها

بالبنديق . فقال : ما أستحل ذلك . فقيل له : فكيف استحللت قتل ٠٠٠

الطغراني مع شيخوخته وفضله ! فقال ما مع الفضل فضول ، يعني أنه أوقع

بينه وبين أخيه ٠٠٠ » .

وينظر ابن جماعة و ٧٥ ، وربما فهم منه أن ابن السمعاني أخذها عن

عبدالرحمن بن الاخوة ٠٠٠ ويظهر أن ابن النجار قد أعاد روايتها .

ويبدو أن مقتل الطغراني كان مصدرا للخيال وعرضة للروايات : فقد ذكر

ياقوت في الارشاد : « وروي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغراني أمر به

أن يشد الى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة بالسهام ، وأن يقف انسان خلف

شجرة يكتب ما يقول . وقال لاصحاب السهام لا ترموه حتى أشير اليكم فوققوا =

= وإسهام مفوقة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحال :

ولقد أقول لمن يسدد سهمه	نحوي وأطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه	دونى وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل يرى	فيه لغير هوى الأعبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيه	عهد الحبيب وسره المستودع

يرى له وأمر باطلاقه ، ثم ان الوزير - السميومي - أغراه بقتله بعد حين ، فقتله .
وقد ذكر الصفدي ايضا هذه الرواية في الغيث ج ١ ص ٨ فقال « أخبرني
عالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري بالقاهرة
نحروسة ، أن الطغرائي ، لما عزم أخو مخدومه على قتله أمر به ٠٠٠ الخ » وعلق
صفدي : « قلت ما هذا الاثبات جنان في ثبوت جنون ، لقد أربى هذا في الثبات
وتسجاعة وعدم الالتفات الى الحياة ونفادها والوفاء بشرط المحبة والذكرى
حجوبه في السراء والضراء على عنتره العبسي وغيره ممن تبعه من الشعراء في
قوته : ولقد ذكرتك ٠٠٠ الخ .

وذكرها - على صورة اخرى ابن أبي حجلة المتوفى عام ٧٢٥ في كتابه ديوان
صباية ص ١١٠ اذ قال : « ٠٠٠ ولما عزم ٠٠٠ على قتله بعد أن قيل له عنه
شيء من جملتها أنه يحب المملوك الفلاني من ممالك السلطان ممن كان السلطان
يحبه ويميل اليه ٠٠ وأخبرني من حكى هذه الحكاية من أهل الادب ان أول
من فوق اليه السهم المملوك المتيم هو بحبه فأنشد في تلك الحالة ٠٠٠
ينشد أقول ٠٠٠ » .

ورواها الشيخ داود الانطاكي (من أعيان القرن الحادي عشر) فقال في
كتبه « تزيين الاسواق بتفصيل أحوال العشاق » ٢١٨-٢١٩ « ٠٠٠ وإمام هذا
شأن - أي الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء - والتفرد في هذا الميدان ،
ضغرائي . قيل انه علق مملوكا لمؤيد الدين [الصحيح : للسلطان محمود ٠٠٠]
كان يهواه فحين بلغه نغم على الطغرائي فأراد قتله .

يفت في عضد هذه الروايات تأخر عهدها وما فيها من « تمرىض » ومن عبث
في ذكر الاسباب والمسببات ومن جهل بشيخوخة الطغرائي ومطامحه ومن اعتباط
في اطلاق الاحكام وسخاء في بذل الاعجاب .

ومن المناسب أن نذكر أن الابيات : ولقد أقول ٠٠٠ قد نظمت قبل هذه
حادثة ، فقد جاء على الورقة ٧٥ من تعليقة ابن جماعة عن ابن أبي روح الهروي
أن حدثنا أبو سعيد السمعاني قال أنشدنا أبو طاهر محمد العقيلي [عن]
محمد بن منصور العروضي قال أنشدنا الأستاذ أبو اسماعيل الليثي لنفسه :
ينشد أقول ٠٠٠ » .

آثاره

للطغرائي ديوان شعر جمعه بنفسه ، وسمعه منه وقرأه عليه سديد الدولة ابن الانباري^(٦٨) وأبو بكر عبدالله بن علي المارستاني ، وروى عنه مقتطفات وقصائد الامير أسامة بن منقذ وابن الشجري وابن الاخوة والامام محمد ابن الهيثم^(٦٩) .

وقد وصف السمعاني الديوان بأنه جيد ، وقال : سبط ابن الجوزي انه مشهور . وما زالت منه نسخ خطية في أكثر مكتبات العالم^(٧٠) .
ويمكن تبويب ما وقفنا عليه من مخطوطات هذا الديوان على عائلتين - ليس بينهما فرق كبير - .

أ - النسخ التي تتبع نظام حروف الهجاء للقوافي ، ومنها :

١ - مخطوطة القاهرة ، رقم ٧٩١٧ ، أدب - دار الكتب .

٢ - مخطوطة لندن ، رقم ٧٥٥٨ ، (المتحف البريطاني) .

وتبدأ مقدمة هذه العائلة بـ « كتب الأجل مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين ابن علي بن محمد - رحمه الله - الى بعض من التمس منه أشعاره : قد انتهيت الى ما اقترحه الشيخ الامام - أدام الله نعمته ، وتحملت في جنب رضاه التعرض لنقد النقاد ، وخف عليّ في الامتنال له التكشف لجهاينة الكلام . . . » وأثبت طرفا مما علق بحفظي من المقاطيع المتفرقة والقصائد ، على تهافت أجزاءها واختلاف نظامها وقلة التمرن لها وفتور الرغبة في الاشتغال بتهديبها . . . » .

(٦٨) الصفدي في الوافي ٣ : ٢٧٩ .

(٦٩) تنظر التعليقة ، ومختصر الوفيات و ٣٩ ب ، والصفدي في

الغيث ١ : ٧ .

(٧٠) ينظر بروكلمان ودائرة المعارف الاسلامية وقائمة المصادر من

هذا الكتاب .

- - النسخ التي كادت تكون مرتبة حسب الموضوعات : المديح ، الشكوى ، الرثاء ، الغزل ، الوصف ... الخ . ومنها :

- ١ - مخطوطة راغب باشا المحفوظة بمكتبة استانبول ، رقم ١١٠٧ •
- ٢ - مخطوطة القاهرة ، رقم ١٥٢٨ ، أدب - دار الكتب •
- ٣ - مخطوطة الاسكوريال باسبانيا ، رقم ٣٠٤ •

٤ - مخطوطة الجامعة الاميركية في بيروت Ms. 892.71 T64d A
ومقدمة هذه العائلة تشبه مقدمة العائلة الاولى (دون أن تحتوي على السطر
أول منها) • ولكنها تضم القصيدة النونية التي مدح الشاعر بها الملك مسعودا
في استورزه عام ٥١٣ :

نظري الى لمع الوميض حين وتنفسي لصبا الاصيل أين
وفي هذا ما يدل على أن ديوان هذه العائلة (ب) ، جمع في أقل تقدير
- بعد هذا التاريخ • وربما كان في ذلك ما يؤيد الحاج خليفة الذي قال - وهو
وتضم نسخ هذه العائلة قصيدة الطغرائي التي قالها أيام نكبة معين الملك :
اقول وصرف الدهر ... » •

يتحدث عن ديوان الطغرائي - : « جمعه بعض أحفاده » •
وفي نسخ هذه العائلة (ب) « عدا نسخة بيروت » نجد مقطوعة من خمسة
آيات غزلية مطلعها :

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه فقد كاد ريبا يطير بلبه^(٧١)
وحشر المقطوعة خطأ لا غبار عليه ، لأنها من شعر ابن الخياط^(٧٢) ، على رأس
قصيدة طويلة^(٧٣) قال عنها ابن خلكان : لو لم يكن له الاها لكفاه^(٧٤) •

(٧١) ديوان الطغرائي المطبوع ص ٩٧ •
(٧٢) أبو عبدالله أحمد بن محمد ... دمشقي التغلبي ، ولد عام ٤٥٠
بدمشق وتوفي بها عام ٥١٧ (ينظر ابن خلكان ١ : ٧٩-٨٠ ، وتنظر مجلة المجمع
العلمي العربي بدمشق ج ٣٣) ، طبع ديوانه في النجف سنة ١٣٤٣ ، ثم
بطبعة جديدة محققة بدمشق تتقدمها هذه الدراسة التي نشرتها مجلة المجمع
العلمي العربي •

(٧٣) ديوان ابن الخياط ص ٧-١٣ • من ط • النجف ، ٧١-٧٧ من
ط • دمشق • (٧٤) ابن خلكان ١ : ٧٩ •

وقد طبع ديوان الطغرائي عام ١٣٠٠ في القسطنطينية - بمطبعة الجواب (٧٥) ، ويمكن القول بأن هذا الطبع قد تم على نسخة من مخطوطات العائلة (ب) - وان جاءت هذه الطبعة خالية من أبيات الغزل الغلmani التي تضمنتها المخطوطات (٧٦) .

وعلى الرغم من الخدمة التي قدمتها هذه الطبعة فانها خلو من كل مميزات النشر الحديث وما يقتضيه من دقة وتحقيق ومقابلة نسخ وفهارس ، أما التصحيف فحدث ولا حرج .

ولا تضم نسخ الدواوين المنظومة التي سماها الطغرائي « المقاطيع في الصنعة » (أي صنعة الكيمياء) التي أشار اليها الصفدي (٧٧) ، وتحفظ مكتبة كلية الآداب من جامعة القاهرة بنسخة مخطوطة لها . ولم تضم الدواوين كذلك ، الابيات التي صدر بها الطغرائي جوابه على تهنئة الحريري له عام ٥٠٩ (٧٨) . وأشهر قصائد الطغرائي هي اللامية التي مطلعها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل
وتقع في (٥٩) بيتا من البحر البسيط ، نظمها - كما رأينا - بغداد يشكو
ويصف حاله عام ٥٠٥ وقد جرد من منصبه . وأفرغ فيها كل ما كان يخامرهم من
مشاعر وأفكار . ولا شك في انه أعجب بها ، وارتاح اليها ، وقرأها واستعادها .
وظل يرويهما للمقربين أمثال : الشهرزوري وابن الشجري وابن الاخوة .
والمعجبون حوله يستعيدونها و« يترأونها » ، وقد ذكرها نسا العماد وياقوت
وابن خلكان وآخرون ، وأفاض الصفدي في شرحها وأطال .

(٧٥) وليس هناك أي دليل على احتمال تأييد محمد عبدالغني حسن (ص ١٤٩) من أنه طبع في الشام . ولا صحة لقول المرصفي ٢ : ٢٢٥ ، ان ديوانه طبع غير مرة . ويعد المؤلف طبعة جديدة لديوان الطغرائي .

(٧٦) لعل الناشر طواها عمدا لمعنى أخلاقي .
(٧٧) الصفدي ، الغيث ١ : ٨ ، وجاء في أعيان الشيعة ج ٢٧ ، مطبعة الاتقان ، ١٩٤٨ ص ٨٢ « ٠٠٠ وينسب اليه أشعار كثيرة في مدح أهل البيت (ع) لا توجد في ديوانه وكأنها سقطت منه » (٤)

(٧٨) ياقوت في الارشاد (ترجمة القاسم بن محمد بن الحريري) .

كان الطغرائي شاعرا كاتباً « حسن الكتابة ومالك قلم الانشاء » .
وَم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضايه في الترسل^(٧٩) . ولم يصل
ابنا من « نثر الدراري والدرر » الا رسالة واحدة هي - فيما نقل ياقوت - جوابه
على تهنة ابن الحريري ، ومنها :

« وصلني ... كتاب اتسم بالمكرمة الغراء واتسم عن التكرمة العذراء ،
فخلته كتاب الامان من الزمان ، وتلقيته كما يتلقى الانسان صحيفة الاحسان ،
وقابلت ما أودع من البر والطول المبر بالشكر الذي هو جهد المقل ونسك
المستقل ، ووجدت ما ألحف من التجميل واتحف عن الجميل ما كانت أطماعي
توق اليه وآمالي تحوم حواليه ... » .

والرسالة بادية التكلف لما يسمونه بالبديع ولاسيما الجنس والسجع ،
وكان هذا التكلف ذوق العصر ونسط كتابته الرفيع وكأنه الغاية الاولى ،
أما الغرض الذي حررت من أجله الرسالة فليس بالمهم ولا بأس في أن يتوارى
خلف التزويق ، حتى انك لا تكاد تعرف أهي من الطغرائي الى الحريري أم انها
من الحريري الى الطغرائي ، ولعل الأولى بها أن تكون صادرة عن الحريري .

ولم يقف الطغرائي عند الشعر والنثر ، فقد كان واسع المعرفة ، مبرزا
في مختلف فنونها ، وقد كرس غير قليل من همه للكيمياء^(٨٠) ، واشتغل فيها

(٧٩) الصفدي عن العماد ١ : ٧ ، وينظر ابن خلكان ، وقد مرت معنا ،
وينظر الارشاد ، وعود الشباب و ٧٨ ، وتنمة الخبر « ... سوى أمين الملك أبي
نصر بن أبي حفص من أهل أصفهان لتقدمه ، لكن برز عليه في فنون العلم وحسن
الاستعارة في النثر والنظم ، سلك المذهب وأبدع المعنى المهذب ... » ومنه
تشرفت به الدولة السلجوقية وتشوفت اليه المملكة الايوبية » . وجاء في عود
الشباب عن أمين الملك ... انه « كان من محاسن الزمان و ... كان منشىء
الدولة السلجوقية حين غصنها وريق ... ذكره الباخري في الدمية ... » .
(٨٠) قال ابن خلدون : علم الكيمياء : علم ينظر في المادة التي يتم بها كون
الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل الى ذلك ... وفي زعمهم أنه
يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الاكسير وأنه يلقي منه على الجسم
المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة ... فيعود ذهباً ابريزاً ...

حتى عد من شيوخها وأئمتها^(٨١) ، وظل المعنيون بهذا « العلم » يذكرونه باعجاب وتمجيد . روى العماد قال « حدثني الامام محمد بن الهيثم بأصفهان عنه أنه كشف بذكائه سر الكيمياء الرموز واستخرج معناه المكتوز »^(٨٢) . وهذه الرواية تسجّم وما ادعاه الطفرائي في شعره^(٨٣) .

وله في الكيمياء « تصانيف وهي معتبرة عند أربابها منها كتاب مفاتيح الرحمة وجامع الاسرار وكتاب مصابيح الحكمة وكتاب تراكيب الانوار ، ورسالة وسمها بذات الفوائد وكتاب حقائق الاستشهادات يتن فيه اثبات صناعة الكيمياء والرد على ابن سينا في ابطالها بمقدمات من كتاب الشفاء »^(٨٤) .

والطفرائي فخور بمكاته من هذا العلم ، وقد قال في مقدمة أحد مؤلفاته في الكيمياء : « ولما علمت أن العلم أحرص شيء الى نفسي تحققت أن لا يناله أحد من غير أهله ولا أبناء جنسه فألفت في ذلك كتابا لم يسمح الدهر بمثلها . ولما فرغت منها عن لي أن أجعل كتابا في ذلك جامعا لذلك الفن على العموم والشمول

(٨١) ابن خلدون في المقدمة ، علم الكيمياء ص ٥٠٤ من المقدمة ، مط . مصطفى محمد .

(٨٢) ياقوت في الارشاد ، الصفدي في الغيث ، العماد في مختصر علي رضائي للخريذة (عود الشباب و ٧٨ ب) .
(٨٣) الديوان ص ٧٩ .

(٨٤) ياقوت ، الصفدي ، وينظر فهرس المكتبة الوطنية بباريس وفهرس مكتبات ايران وغيرهما . وفي أسماء هذه الكتب اختلاف ، ويفهم من مخطوطة مكتبة مجلس ملي بطهران ، رقم ٧٣٠ ومن مقدمة المؤلف نفسه ان « مفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة كتاب واحد : الاول جزؤه الاول والثاني جزؤه الثاني . وكتب على غلاف المخطوطة أن من مصنفات الطفرائي : كتاب الاحسان في علم الميزان وكتاب نهج القويم وكتاب صحيفة ناموس الحكمي في تهذيب أحجار السبعة ، وكتاب أفعال الطبيعة وأسرار الخليقة . وله كتاب الارشاد الى الاولاد (وهو رسالة بثلاث صفحات) . ولا يبعد أن تكون لكتبه نسخ اخرى في المكتات ، ولا يبعد أن تكون له كتب اخرى في الكيمياء .

وقال ابن خلدون في المقدمة ، الكيمياء : ص ٥٠٤ و امام المدونين فيها جابر ابن حيان ٠٠٠ والطفرائي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء . وتنظر ص ٥٢٥ .

وحيطاً بكل ما عز على الاوائل ذكره ، واني أعلم قطعاً اني لو كنت في زمن
عصون وورلسيوس واطلع على ما فعلته ونهت عليه وأظهرته للعالم من هذا الفن
في هذا الكتاب لما كان يسع أحدهم الا ذبحي ولتجيل على اخراجي من هذا العالم
خشي ، ولكنني استغفرت الله تعالى مرارا وأنا أنظر . . . الاذن والارادة لابراز هذا
كتاب وسميته « بمفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة » ليكون بما أودعته فيه
من العلوم وأوضحته مطابقاً فحواه لاسمه ، ورتبته على مقدمة وسبعة أبواب » .

وقد ظلت هذه المؤلفات مصدراً مهماً للمعنيين بهذا « العلم » يدرسونها
ويتسخونها معجيين ومجدين مؤلفها « الحكيم البارع والفيلسوف الفاضل ،
والمحقق العامل » . وأهل الصنعة أكثر من تمسك بلقب « الشهيد » وكأنهم يضيفون
به بذلك اكباراً الى اكبار . أما غيرهم فيقولون : ان تصانيفه في الكيمياء « قد
صغت من الناس أموالاً كثيرة » .

شعر الطغرائي

طرق الطغرائي كل أغراض الشعر العربي التقليدي من مديح وفخر
ورثاء .. وغزل .. ووصف وحكمة . وله في كل منها مشاركة بالاتجاهات العامة
التي كانت تسير عليها ، واختلاف يميزه عن الآخرين بما يعتمد من
عناصر ذاتية ...

وقد جهز الطغرائي نفسه بالمواد الاولية للشاعر ، ووفق يعدها اعدادا عاما
فتعلم ودرس وقرأ وحفظ .. وعمل ، اذ زاول النظم منذ صباه وبدا متمكنا من
اللغة والعروض والرصف ، وطرق هذا الغرض أو ذاك من مدح وأخوانيات
ونسيب .. كمن ينتظر حادثة تهزده وتجري الدماء في الشرايين .. ويحب ،
ويعترض ذووه هذا الحب ، ولكنه استمر وثاب واجتهد حتى تزوج الفتاة التي
ملكته عليه أقطار نفسه وعاش معها أسعد عيش .

ولكن ، ما يكاد يمر عام حتى تموت الزوجة الشاببة فيكي الزوج « الشاب »
مر البكاء ، ويحزن أشد الحزن ، ويفعل ما يلومه عصره أن يفعله من جزع
وبكاء ولطم وتسزيق ثياب .. ورثاء .

وتظل صورتها وهي تصارع الموت قائمة في نفسه بتفصيلاتها وبموجعات
مشاهدها :

ولم أنسها والموت يقبض كفها
ويسطها والعين ترنو وتطرق
وقد دمعت أجفانها فوق خدها
جنى نرجس فيه الندى يترقرق
وحل من المقدور ما كنت أتقي
وحم من المحذور ما كنت أفرق

وقيل فراق لا تلاقي بعده
ولا زاد الا حرة وتحرق
فلو أن نفساً قبل محتوم يومها
قضت حشرات كانت النفس تزهب
هلال توى من قبل أن تم نوره
وغصن ذوى فيناه وهو مورق

يسليه الناس فلا يسلو ، ولا يجد العزاء الا بقبرها ، يزوره ويبكي
عده ويقبله ويلصقه بصدرة فينسى الدنيا ويجد نفسه في حضرة حبيته :
نلمها وتكلمه :

ع ولم يبق مما بيننا غير حثوة
على العين تحشى أو على العين تطبق
كأحن اليها ان تراخي مزارها
وأبكي عليها ان تدانى وأشهب
ع وأبلس حتى ما أبين كأنما
تدور بي الارض الفضاء وأصعق
وألصقها طورا بصدري فأشتفي
وأمسحها حيناً بكفي فتعبق
وما زرتها الا توهمت أنها
بشوي من وجدتي بها تعلق
وأحسبها والحجب بيني وبينها
تعي من وراء التراب قولتي فتطيق

بها وفاء وانسانية أدى فيهما صدق العاطفة الى صدق التصور .

ويظل الشاعر يعيد ويبيدي في أفكاره وأخباره ، وهي تتوارد عليه بين
حضة ولحظة مفردة حيناً ، ومجتمعة حيناً ، فلا غرو في أن تحتوي القصيدة

الواحدة أكثر من معنى ، ولا غرو في أن يتكرر هذا المعنى في أكثر من
قصيدة ومقطوعة •

وفي رائية رائعة يبكي ويبكي حتى يستقل الدموع :

... أعينيَّ جوداً بالدماء وأسعدا

فقد جلّ قدر الرزء عن عبرة تجري

أذم جفوني أن تضن بذخرها

وأمقت قلبي وهو يهدأ في صدري

لقد وقع الموت عليه وقع الصاعقة ، وما كان لمثله بد من البكاء ، وما كان
لمثله بد من أن يرى المصاب أسمى وأجل من أن توفيه الدموع • أما اذا أغفت
الجفون ، وهدأ الصدر لحظة ، نار وغضب وطرردُ رسل السلو شر طردة •
وتعاوده الذكريات - لانه لم يفقد زوجة حسب ، انما فقد زوجة و« حبيبة »
هي المثل الاعلى للجمال والكمال :

← نفسي من غاليت فيها بمهجتي

وجاهي وما حازت يداي من الوفر

وفايظت فيها أهل بيتي فكلهم

بعيد الرضى يطوي الضلوع على غمر

وفزت بها من بين يأس وخيبة

كما استخراج الغواص لؤلؤة البحر

فجاءت كما جاء المنى واشتهى الهوى

كمالا ونبلا في عفاف وفي ستر

فصارت يدي ملأى وعيني قريرة

بها كيفما أصبحت في اليسر والعسر

وفي هذه الايات الخمسة خلاصة وافية كافية لقصة ختمتها يد الاقدار
فجأة فكانت مأساة روعت قلب الشاعر وأبكته دما •• وانتهى به الحزن والسخط

ن أن يقول :

ألا ليتنا لم نضطحب عمر ليلة

ولم نجتمع من قبل هذا على قدر

وهذه أمنية عجيبة من رجل حزين كل الحزن ، محب كل الحب .. فكيف
يجتمع الحب وتمنى البعاد ، وكيف يجتمع حبه وتمنيه ألا يكون؟! الجواب
سهل . فالأمنية ساذجة ، وعمقها في سذاجتها ، وهي حالة تعترى الاطفال ،
وتعترى الامهات ، وتعترى الاحبة ، ويقع التمني عفوا ، ولا يقصد به الى الحقيقة ،
ومن البلاد أن يفهم على ظاهره ، وأقل ما يكذبه أبيات قبله وأبيات بعده ، فهو
نسن يخرج الى اقرار جسامه المصاب وشدة البلاء ... وشدة السعادة التي كان
عليها يوم هياتها زوجة سالحة ، طيبة .. محبة محبوبة :

بنا أنت من مهجورة لم أرد لها

فراقا ولم تطو الضلوع على هجر

طلعت طلوع البدر ليلة تمه

وفقت كما أربى على الانجم الزهر

وآنستا حتى اذا ما بهرتنا

سنىّ وسناء ، غبت غيوبة البدر

وقد كان ربي آهلا بك مدة

أحن اليه حنة الطير للوكر

وأوي اليه وهو روضة جنة

بدائعها يختلن في حلل حمر

فمذ بنت عنه صار أوحش من لظى

وأضيق من قبر وأجذب من قفر

ويجن جنونه ، ويبحث في الاسباب والعلل ، ويسأل لماذا؟ وكيف؟ فيجد

الجواب حاضرا :

وما كنت الا نعمة الله لم تدم

عليّ لعجزي عن قيامي بالشكر

• وهو تليل أدبي شعري ، ولكنه يرضى صاحبه ويرضى حيرته الطاغية •

ولاسيما ان غيابها عن العين لم يمنع حضورها في القلب :

برغمي خلا ربمي وأسكنت خاطري

وغابت عن عيني وأحضرت في فكري

ولئن فقدتها في الدار الدنيا فانه ليدعو الله مخلصا أن يجمع الشمل

ويجعلها من نصيبه في الدار الآخرة •

وهكذا تكون هذه الرائية تسجيلا شعريا للحالات النفسية التي اعترت

الشاعر المفجوع • وكان الحزن العميق مسيطرا •• بدأ عنيفا ، وكاد يغير

المجرى عندما تذكر الشاعر أيام ما قبل الزواج وأيام ما بعده ، ولو استمر في هذه

الذكريات العذاب لنسي مصابه ، وهيهات ، ولا أدل على بعد ذلك من عودته الى

البكاء والسهر ، ومن تمنيه الجهل بها وتمنيه الموت من أجلها ، وكاد اليأس يقتله

لو لم تأخذ ذكرى أيام الحياة الزوجية السعيدة طريقها الى مخيلته فتشغله لحظات

اخرى عن حاضره وتعمل على الرجوع به الى الماضي القريب ، ولكن هذا الماضي

لم يلبث حتى جسم له فداحة الحاضر وفداحة الخسارة ، وكاد يبدأ مناخة جديدة

لو لم تكن الموجة قد قاربت الشاطئ فهدأ عنفوانها فنهض العقل يعزى ويخفف ،

حتى أحس الشاعر أنه يقترب من السلو ، ورأى نفسه ملزما بتبرير هذا السلو ،

وقد وجده في الضرورات :

فان سكنت نفسي الى سكن لها

سواك مدى عمري فقد بوأت بالكفر

وان أسل يوما عنك ، أسل ضرورة

والا فاني عن قريب على الاثر

وما ان مرت الايام حتى غلب العقل ، وتغلبت المبررات ، فاذا
صاحبنا يتزوج •

اي والله ! تزوج وأنجب الولد ! ولا يكاد المرء يسمع هذه النتيجة حتى
يأسف ، وقد يضحك ، وقد يتهم الرجل بالكذب واقتعال الحزن •• وهذا المرء
الذي يضحك ويتهم ، يعتقد أنه خير من الطغرائي ، ويريد من الطغرائي ما يريده
لرجل المتالي في الثبات على الحب والدوام على الذكرى ، ويتصور أن حالات
النفس الانسانية مطردة •• ولا أخاله مصيبا في كل ذلك • بل ان زواج الطغرائي
لا يعني حتما السلو التام والنسيان المطلق •

ان زواجه في هذه المرة زواج فقط ، بينما كان في المرة الاولى زواجا
وحبا - والفرق بين^(١) •

ولهذا الزواج ضروراته ، ولنا أن تتصور من هذه الضرورات : البيت الذي
لا بد لمثله وهو على ما كان عليه ، وعلى ما يود أن يكون عليه ، فهو رجل مجتمع

(١) ثم كم هم الشعراء الذين رثوا زوجاتهم في الادب العربي؟! قليلون ،
وقد يكون أشهرهم جرير صاحب :

لولا الحياء لها جني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

وها أنت ذا تراها مبدوءة بـ « لولا » ، أما الطغرائي فقد حاجه الاستعبار
فبكى وزار القبر ••• ثم ما الذي دفع جريرا الى أن ينسى زوجته بعد الايبات
القليلة الاولى من قصيدته ليخصص الباقي - وهو كثير جدا - لשתم الفرزدق
وشتم جعثن !

أما الفرزدق فموقفه أمر - وأدهى ويكفي ان النساء بكت امرأته بشعر جرير •
وقد أجاد مسلم بن الوليد البكاء وأخلص فيه إلا أنه لم يختص اختصاص
الطغرائي ، وانه فقد زوجته في شيخوخته وأخريات أيامه ••• أما ابن الزيات
فلا يبلغ مبلغ الطغرائي وكان ألمه « للطفل » أكثر من ألمه للمرأة الفقيد •
ويطلع العصر الحديث ، عصر انصاف المرأة وتحريرها ، ويقول الشعراء
رثاء : فللبارودي قصيدة ، وللجواهري قصيدة • ولعزير أباطة ديوان ولعبد
الرحمن صدقي ديوان ••• والعواطف في كل هذه الاشعار صادقة نبيلة ، ولكن
الطغرائي يحتفظ بمكانه المرموق في بكاء الزوجات •
ومما يذكر أن أكثر الشعراء المعاصرين لم يلبثوا أن تزوجوا ثانية •

يزور ويزار ، أو انه - في أقل تقدير - يريد أن يزور ويزار ، ويريد أن يشغل مكانا في سياسة عصره ، وقد حدثته نفسه بأشياء كثيرة من شؤون المجد ، فلا بد له من أن يشغل ديوانا ، ولا بد من أن ينال وزارة •• أو أكثر • ومن المحتمل أن يكون هذا الطامح وهذه الاشياء الكثيرة التي ستلقي به في خضم الحياة السياسية بعض ما أنساه وقع مصابه بوفاة زوجته •

ولئن كان المديح مذهبا بارزا في الشعر العربي ، ومذهبا سائدا في العصر السلجوقي ، ان دواعيه أشد لدى شاعر يتخذ وسيلة لغاية أبعد ، هي طامحه الى التقدم في مدارج مناصب الدولة ، وقد كان هذا الطامح مفتاح شخصية الشاعر ، وانك اذا تصفحت الديوان لا تكاد تجد مدحا من أجل المال أو اللباس أو الارض كما تجد في أكثر دواوين معاصريه • واذا دل هذا على « الحال الحسنة » فانه يدل كذلك ، وأكثر من ذلك ، على أن مطلب الطغرائي في الحياة أكبر من الشبع والري •

أحسن « الحسين » بهذه الرغبة ملحة في نفسه ، وآمن بأن له ما يحققها ، من علم و « بيت » ، يساعده في ذلك عصر - على اضطرابه ولاضطرابه - يفتح صدره لمن يسعى في الدخول الى قلبه • ويسهل مهمته كونه من أصبهان ، وأصبهان مقر خطير من مواطن السلطة ، حتى لتكاد تكون عاصمة السلطنة - ان لم تكنها - واذاً فهو قريب من مبتغاه •

وها هوذا يبدأ - كما يجب أن يبدأ أمثاله - بالتقرب من معين الملك فضل الله ، ويفلح •

والتاريخ - كما رأينا - بخيل تمام البخل في الحديث عن معين الملك ، ولكن الطغرائي جلا لنا منزلة هذا الرجل ، وبين نفوذه وسلطانه وخلقه ، وذكر انه يستطيع أن يقدم ويؤخر في الدولة ، وان الناس يسعون للتقرب منه ، ومنهم من ينافقه ومنهم من يدعي حبه ويصنع له بالولاء •

وفي طيات صلة الطغرائي بمعين الملك ، وثنايا قصيدة قالها لمناسبة من
ضوار هذه الصلة وصف لنا « المعين » وصفاً يجعل منه وثيقة تاريخية نادرة :
— بعيد مناظ الهم ، أروع لم يكن
لتملأ جنيه الخطوب الروائع
— خفي مدرب الكيد لا يستشفه
ليب ولا يفضي اليه مخادع
— ولو شدة عن حكم المقادير كائن
لما درت الأقدار ما هو صانع
— طلبو لغايات المكارم مجمع
على الهم ثبت الرأي يقظان جامع
— صؤول اذا ما الخوف أرعد أهله
قؤول اذا التفت عليه المجامع
اذا لاح فالأبصار حيرى شواخص
وان صال فالاعناق ميل خواضع
فلا يشغل الأبصار الا بهأوه
ولا ترعوي الا اليه المسامع
يلاحظ أعقاب الامور كأنسبا
يداهيه من دون الغيوب طلائع
فلا صدره في أزمة الخطب ضيق
ولا عرفه عن طالب الفضل شامع

وفي هذه الايات موجز بليغ في تحديد ابعاد شخصية معين الملك وبيان
أهميته وتعيين مزاياه في حالة الرضى والغضب ، الحرب والسلام ، ثم انه داهية
— مما هو شرط لا بد منه للسياسي — لاسيما في زمانه .

ولا يمكن أن تكون هذه الايات كلاما مجردا وانها مدحة مادح ، لما فيها من
دلائل الصدق وعلامات « الحرارة » والمتنعات التي تبين ان الشاعر يصف ما وقعت
عليه عينه وامتألت به نفسه ، ولقد رأى رجلا جمع أمثل صفات « الشخصية

البارزة « المطلوبة آنذاك » •

ان هذه الابيات قطعة حية ، ترى الى جوارها الاسطر التي رواها التاريخ باهتة ضئيلة ، حتى اذا قال التاريخ ان معين الملك أو سيد الرؤساء - كما يسميه - قد « بلغت مرتبته من اصطفاء السلطان اياه الى غاية لم يبلغها أنيس » عرفنا قيمة الوثيقة التي قدمها الطغرائي ، وعلمنا انه لم يكذب وانما فصل ما أوجزه التاريخ ، واستدرك على ما فاته •

ويقدمه معين الملك الى نظام الملك - أكبر صدور العصر • فيمدح المعين ويمدح النظام •

وعندما سجن معين الملك أخلص له وأقام على ذكره ، فقد حزن حزنا شديدا ، وزاد عنه وأقام يعزبه ويصف تخلي الناس عنه وشماتة الاعداء به • ويستعيد صورا من مجده ويروي طرفا من محامده وأخباره :

أمرَ بذاك الربيع وهو رياحه
معطلة أعلامه والمعاهد
عهدناه دهرا بالوفود معطلا
يزاحم فيه الاقربين الابعاد

★ ★ ★

مواسم جود ما تغب وفودها
اذا خف منها راحل حط وافد
اذا سام فيها المعتدون ، مراتع
وان عاث فيها المعتدون ، مآسد

★ ★ ★

معارك ناس في مآلف صبوة
تجمع فيهن المعالي الشوارد
تتمغم أبطال وتسهل قرح
وتصخب أوتار وتروى قصائد

★ ★ ★

ثم يأمل عودته الى سابق عزه ، اذ لا غنى للحكم عنه :

ستذكره ذكر الطريد محله

عري الملك منحلا بهن المعاقد

وتفقّر الدنيا الى رأيه الذي

يرد اليه في الامور المقالد

ويبلغه الأقبال ما هو ضامن

وينجز فيه الجد ما هو واعد

وتعذر الايام بعد اساءة

فيصحب منفور ويصلح فاسد

بقي الشاعر مخلصا حينما تم خضع لمقتضيات سياسة العصر ولزم نظام الملك •

وقد حدثنا عن الوزير ونفعا بحديثه •

ونظام الملك في شعر الطغرائي : أبيض أخلاقه غر ، رهطه من صيابة

الفرس ، يقول ويفعل ، شجاع حازم ••• ، فاتح :

رمى بنواصيها الفرات فأقبلت

مغية الاعطاف تلح المناكب

وخاض بها جيحان يلطم موجه

ملاطمة الخصم الألد المشاغب

خميس أقاصي الشرق تروزم تحته

وترتج منه أخريات المغارب

ويتكرر خبر الفتح :

وما راع أهل الشام الا اطلاعها

رقاق الطي والمقربات السلاهب

٤ ولما رأتها الروم أيقن أنها
سحاب لها ودق من الدم مسكوب
٥ وما طلعت الا وفي كل نزعة
بها منبر الدين الحنفي منصوب
وكم لك فيهم وقعة بعد وقعة

جمعت بها الاهواء وهي أساليب
ولئن جاء هذا الكلام بأسلوب الشعراء ، فانه في خلاصته حقيقة يؤيدها
التاريخ ، ولئن اتسعت رقعة المملكة في عهد السلطانين : ألب أرسلان وملكشاه
فان مرد ذلك الى أسباب من أهمها حزم نظام الملك وشجاعته وتديبه ودهاؤه .
ولم ينس الطغرائي أن يسجل هذا ، ولم ينس أن ينص على الكيد فقال :
خفي مدب الكيد يكتم سخطه
رضاء ويسقي السم في مجة النحل

وهذا الكيد شرط في سياسة العصر وشرط للنجاح فيها ، وهو صفة من
صفات اخرى توفرت لنظام الملك فأسند الملك وحفظه ، ولم يكن الشاعر كاذبا
حين قال :

به اعتدل الملك الذي مال ركنه

ومادت غصون العيش موقرة الحمل

فذلك ما يؤيده التاريخ ، وما كان يحس به الوزير نفسه ، وما لا يجله
السلطين أنفسهم ، انما الذي يجدر علمه هو أن الطغرائي لم يقرر هذه الحقيقة
لذاتها ، لانه رجل لا يمدح للمدح . . . وانما يمدح من أجل غايته ، فهو بين
شاكرا على نعمة ، وراج لفضل ، ولا غرو فقد كان نظام الملك كل شيء في
عصره ، وكان أكثر من ذلك برأي الشاعر الذي خاطبه بقوله :

ك بك اقتدت الايام في حسنتها

وسيمتها لولاك هم وتكريب

فلا رزق الا من نوالك مجتني
ولا عمر الا من عطايك محسوب

وكان لنظام الملك - فيمن له - ابن هو مؤيد الملك ، وهو كبير أيام حياة
أبيه ، وكبير بعد حياة أبيه ، ومثله لا يخفى على الطغرائي ، فهو وسيلة اخرى
يستعين بها على « قضاء حوائجه » واذا فليمدحه •

وفي شعر الطغرائي الذي رفعه الى مؤيد الملك فوائد ودلائل ، وقد بدأها
بالاستعطاف والاستمالة - كما هو طبيعي :

تظاردي الايام عما أريده
وألوى بسعود الضمان فأقع
أما درت الايام أني في حمي
ولي « أمير المؤمنين » ممنع

* * *

عتاد نظام الملك للمخطب يتقى
وللملك يستبقى وللحق يتبع

وقد نال لديه الحضوة •

ولكن الذي « لا يمدح للمدح » لا ينجو من التناقض ، ولا ينجو من أن يقع
في فخ لم يرد لنفسه أن تقع فيه •

وهذا ما حدث لابي اسماعيل ، فانه بعد اطرائه مؤيد الملك ، أبصر صدرا
جديدا يعلو نجمه فيزحم نجم مؤيد الملك ويكاد يكسفه • وفي نظرة من الطغرائي
الى « مصلحته » والى « الطرف الراهن » حسب أن الدنيا أصبحت في قبضة « مجد
الملك » ، فانصرف اليه يمدحه ويشني عليه بما هو أهله ، وبما يحتمل أن يكونه
من تدبير الملك وقمع البغي وسياسة الانام :

ذاك الذي خضعت لطاعته
صيد الملوك وأذعن القلب
في فترة تسمى الحلوم بها
وتشابه المربوب والرب
ولهذا شيء من ظل في التاريخ ، ولكن الطغرائي يزيد :

في راحتك الرزق والاجل
وبعزمتك الامن والوجل

يزيد ، لانه يشكر ، ويشكر لانه حصل على شيء ويطمع بأشياء .
وتقع الواقعة ، ويقتل مجد الملك ، ولم يبق أمام الطغرائي الا الرجوع الى
مؤيد الملك ، ولئن كان الطريق شائكا ، فهناك الاعتراف بخطل رأيه ثم الاعتذار
بما روج الواشي واختلق ثم العتاب بما كان له من الخدمة وما له من الفضل .
ولم تكن القطيعة قصيرة ، ولعلها دامت أكثر من « عام وعام » . وقد
بذل الشاعر جهده في إعادة الماضي الى ما كان عليه ، وفي إعادة مؤيد الملك الى
احسانه واكرامه . ودل الشاعر على أنه يحسن العتاب والاعتذار ، وأعرب عن
شدة وقع هذه الحادثة في نفسه . وكان من ذلك قوله :

وأبلج اما وجهه حين يجلى
فشمس واما كفه فغمام
- جرى طائري منه سنيحا وعلني
بدر أباد ما لهن فطام
- وأنزلني منه بالطف منزل
كما مزجت باين الغمام مدام

كشردت عليه غير جاحد نعمة
أكلف خسفا بعدد وأسام
وقد يسلب الرأي القتي وهو حازم
وينبو غرار السيف وهو حسام
فقد وجد الواشون سوقا ونفقوا
بضائع زور ما لهن دوام
فأصبح شمل الانس وهو مبدد
لديه وجبل القرب وهو رمام
يقرب دوني من شهدت وغيوا
ويوصل قبلي من سهرت وناموا
تزاور حتى ما يرجى التفاته
وأعرض حتى ما يرد سلام
فلا عطف الا سخطة وتتكبر
ولا رد الا ضجرة وسئام
فان يك رأى زل أو قدر جرى
بنازلة فيها علي ملام
فوالله ما فارقت فيك خيانة
أعاب بها في محفل وأدام
ولا قر لي بعد التفرق مضجع
ولا طاب لي بعد الرحيل مقام
* * *
اتبعد حتى ليس في العفو مطمع
وتعرض حتى ما تكاد ترام
* * *
ألم ألق فيك الأسر وهو مبرح
وألذ طعم الموت وهو زؤام

واستعرض في أماديحه واعتذاراته طرفا من أخلاقه وأعماله ، وأبان عن مكاتته ومنزلته ، وأعلن عن انتصاره على « المتسردين » وعن تمكنه من سحق « الغادرين » :

فقل للذين استعدبوا الغدر مشربا
رويدا فمرعى الغادرين وييل
أديروا كؤوس الراح ان وراءها
كؤوسا من السم الزعاف تقول

* * *

ستغرى بأطراف البنان نواجذ
إذا التف يوما بالرغيل رغيل

* * *

فلوذوا بحقو العفو منه فانه
جواد به حتى يقال غفول
وان غلبتكم شقوة الجد فاعلموا
بأن ديار التاكثين طللول

وقد أضع التاريخ كثيرا من هذه الاخبار وهذه التفصيلات •

ونجح الشاعر في مسعاده المحظوة لدى مؤيد الملك ، كما نجح في الحصول على العفو ، والعودة الى سابق الاكرام - الذي عكرد ميله الى مجد الملك حيناً - ولا أدل على ذلك من رئائه الوزير وقد قتل عام ٤٩٤ فبكاه بكاء فيه جرأة وصدق واخلاص :

ما بعد يومك لمخزين المومع
غير اعوير وأنة المتفجع

وسجل من دقائق المعركة ومشاهدها ما لم يحفظه التاريخ :

••• هذا « عبيدالله » أسلمه الأولى

ضمنوا الثبات لكل خطب مظلم

خاضوا به الغمرات ثم تخاذلوا

وتقاعسوا عنه دوين المصراع

وتسرعوا نحو اللقاء وخلفوا

في التقع ثبت الجأش لم يتسرع •••

ويضم ديوان الطغرائي من مديح الصدور أكثر مما يضم من مديح السلاطين ، ومن أسباب هذا ، أن الطغرائي بدأ في سعيه الى المنصب منهجيا متدرجا من الكتابة الى نيابة الطغراء الى الطغراء والانشاء •• ولم يكن السلطان العامل المباشر لمثل هذه الرتب ، وانما هي من « صلاحيات » معين الملك ونظام الملك ومؤيد الملك ومجد الملك ••• أما السلطان فأكثر ما يعنى بكبار الامور كالوزارة ، وهي - وان كانت مبتغى أبي اسماعيل الا انها ما زالت بعيدة ، فلا يصح أن ينافس فيها نظام الملك أو مؤيد الملك ••• على أنه لا مانع لديه من أن يزرع عند هذا السلطان أو ذاك مقدمات تنفعه في حاضره وتعينه في مستقبله ، ولاسيما بعد أن أصبح أصيلا في الديوان • وها هو ذا قريب من السلطان يتقلب في ديوان الطغراء والانشاء وفي « نعم » اخرى •

لقد حقق ذلك بالمدح وبالشكر وباتهاز المناسبة للمدح والشكر ، وما دام الزمن زمن مبالغة ، وما دام المدوحون يرتاحون للمبالغة ، فليبالغ ما شاءت له المبالغة ، حتى لو استهل قصيدة بمدح ملكشاه بمثل :

لجلال قدرك تخضع الاقدار

ويمن جدك يحكم المقدار

في والدهر كيف أمرته لك طائع

والله حيث حلته لك جبار

* * *

والفيلق الجرار بين يديه من

سطوات بأسك فيلق جرار

* * *

هذا هو العصر الذي سبقت به الـ

بشرى وجاء بذكره الآثار

* * *

وإذا هممت جرى القضاء بما ترى

فكأنك المتحكم المختار

* * *

جردت عزمك للجهاد فقبل أن

جردت سيفك زلزل الكفار

ليقل هذا ، وما هو أكثر منه ، ما دام ذلك يقربه خطوة من الحكم • وقد يكون للطغرائي في « مبالغاته » مبرر تاريخي من « عظمة » السلطان ملكشاه وكثرة فتوحاته وسعة ملكه ، ولكن ما عسى مبرر أن يكون حين يقف على عتبة ملك « طفل » في الحادية عشرة من عمره ، هو الملك مسعود الذي يحكم أتابكه « جيوش بك » الموصل وأذربيجان ••• ، يقف ويقول : انه ملك الملوك وانه :

تشي الملوك الصيد تحت ركابه

ويظله بجناحه جبرين

* * *

يا أيها الملك الذي بجلاله

قضي القضاء وكون التكوين

مرضاته تحيي ويردى سخطه

فهما حياة للورى ومنون •••

أيقال مثل هذا لمثل مسعود؟ أم انه كفر وبهتان؟ ان الطغرائي لا يجهل نصر الملك ولا يجهل عجزه ، ولكنه لا ينظر اليه خلال عقله ، انما خلال هواه ، ولا أعظم لديه - ولاسيما بعد أن خيته بغداد^(٢) وخيته أصبهان - من امرىء سير به خطوة نحو غايته . وهو اذ قصد مسعودا عام ٥١٣ ، انما قصده من أجل وزارة لم يحققها له السلطان محمود .

أما الخلفاء فطبيعي أن لا يكون لهم حظ من ديوان أبي اسماعيل ، ولم يستعين بهم وقد « عرف من أين تؤكل الكتف »؟ والدنيا كلها - بما فيها الخليفة - بيد السلطان ووزيره . وهوى الشاعر أكبر من أن يحققه خليفة ، وأكبر من يجد بدينار أو ضيعة .

على اننا قد رأينا الطغرائي - في عامة مديحه وفي أحسنه - لا يخرج عن قصد والارادة والهدف الى ما هو أبعد من المدح والمدوح ، وعمل هذا شأنه ، أن سلم - لدرجة ما - من مجانبة التاريخ فانه لا يمكن أن يكون مجال عاطفة صادق وخيال أصيل . انما هو مهارة وصناعة يؤيدها التمكن من اللغة وتراكيبها وبلاغتها وتسندها الاستفادة من خبرات السابقين من أمثال النابغة والبحتري وابن هانئ والمتنبي .

وليس من اليسير على شاعر كالطغرائي أن يهب نفسه لمدوحيه ، وليس من الممكن أن يخرج عن ذاته ، وهذا واضح بين لكل من عرف رأي الطغرائي في نفسه ، ووقف على فخره ورآه كيف يشيد فيه بكفاياته ومواهبه . ورآه كيف عز يطلق لنفسه العنان لتقول كل ما تريد وبكل صراحة دون احتياط (أو خجل) . وهو « عريق » في هذا الفن فقد طرقة منذ صباه (ديوانه ، ص ١٣١) . ولئن كان الفخر قديما في الشعر العربي ، ولئن كان شائعا في مختلف عصوره فان ذلك لا يحول دون الاجادة ، لان الطغرائي انما يفخر - مخلصا - بما لديه وبما

يحسن به في أعماق نفسه ، ولأنه يعتمد رصيда من الحقيقة لا يقول معه
سامعه : كذبت •

وقد يفخر بأسرته وكرم محتدها الا أن ذلك لا يؤلف اتجاهها بينا في
شعره ، ان الاتجاه اليبين انما نلمسه في فخره بعلمه ، ولا يشك امرؤ في علم
الطغرائي وسعته وعمقه ، ولكن الشاعر يؤكد علما بعينه هو الكيمياء ، وهذا
علم شهد له به الناس وشهدت له به مؤلفاته ، ولا يريد الطغرائي أن يقف منه عند
حد ، انه ليسمح لنفسه أن تتطلق كما تريد ، وهل من ادعاء بعد قوله :

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتي
منها فما أحتاج أن أتعلما
وعرفت أسرار الخليفة كلها
علما أنار لي البهيم المظلم
وورثت « هرمس » سر حكمته الذي
ما زال ظناً في الغيوب مرجما
وملكت مفتاح الكنوز بحكمة
كشفت لي السر الخفي المبهما
لولا التقية كنت أظهر معجزاً
من حكمتي تشفي القلوب من العمى
أهوى التكرم والتظاهر بالذي
علمته والعقل ينهى عنهما ...

وفي باب من هذا العلم وهذا الفخر يقول كذلك :

ألا ان علما بين جنبي مودعا
يضيء ورائي نوره وأمامي
أنارة علم الصادقين وما أت
به الرسل فيه ، برء كل سقام

مفتاح علم الله في الارض من تفر
بها يظفر بكل مرام
فان عشت أحو الملك لم تحو مثله
يدا ملك في العالمين همام
وان مت من قبل الوصول بحسرة
فكم حسرات في نفوس كرام

والادعاء واضح ، وقد تؤاخذة عليه ولا ترتضيه لرجل يجب أن يكون
متزنا ، ولكنك لا تنكر على الايات شاعريتها ، ولا تنكر أن الانسان قد يخرج
عن سمته ولاسيما اذا كان شاعرا • ويبدو أن الطغرائي قال هذه الايات لينفس
بها عن ضيق ألم به ، وليهرب خلالها من واقع مر ، وليعوض بما يعتقد في نفسه
عما سلبه الناس اياه من انصاف في الرأي والمال •

وانك لو استقرت ديوان الطغرائي لاحظت أن الشاعر انما يفخر ويكثر
من الفخر عندما يؤذى ، فاذا أساء اليه الاعداء وألبوا عليه قال معلنا قدرته وحلمه
وسمو منزلته ، ناشرا في قوله أصداء القلب المكلم :

قالوا صبرت على المكروه من نفر
لو شئت حكمت فيهم كف منتصر

تعدو عليك رجال لو هممت بهم
صاروا فرائس بين الناب والظفر

تغضي الى أن يقول : العجز ألزمه
ذلا ، وتصبر حتى لات مصطبر

حتى م تحلم عنهم غير منتقم
والحلم ينزع أحيانا الى الخور

* * *

فقلت انهم عندي وكيدهم
كالكلب اذ بات يعوي صفحة القمر
أنى أبت لي أخلاق مهذبة
أن أسلب الحلم بين الحق والضحجر

واذا بالغوا في العداء ، جعل من نفسه الشمس سموا والنسر ارتفاعا ،
فكيف يبلغون مناطه •

ويلج بالفخر في الحالات التي يضام فيها وتضيع عليه حقوقه وتغبط خدماته
ويزهده في كفايته ، أو بكلمة أدق عندما يمس طمأحه بسوء ، ولا غرو في أن
تمخض حالات مثل هذه عن جياذ قصائده • ويبدو ان أكبر مصاب حل بأماله
كان عام ٥٠٥ هـ بمدينة السلام عندما عزل عن منصبه • والمصاب الجسيم يدفعه
الى الفخر الزائد فكأنه يتكىء عليه ويؤكد به وجوده • ولئن قال :

أصلالة الرأي صانتي عن الخطل
وحلية الفضل زانتي لدى العطل
مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع
والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل

★ ★ ★

غالى بنفسى عرفانى بقيمتها
فصنتها عن رخيص القدر مبتدل

لئن قالها ، فقد قالها ليشد من صبره بعد أن خذله الآخرون ، وليدفع عن
نفسه بعد أن أصبح موضع تهمة ، وقالها أكثر من ذلك ليملاً الفراغ الذي
أحدثه زهاب المنصب • ولئن بدا مبالغا ، فان مبالغته صادقة تقوم على ثقة بالنفس
ولم تخرج عن عمود الاجادة والتأثير الى ميدان المخاريق والخرافات •

ومن هذا الضرب من الفخر « المقبول » الذي يدل على الصدق والايمان

تونه في هذه الفترة (أو في فترة مشابهة) :

أبى الله أن أسمو بغير فضائلي
إذا ما سما بالمال كل مسود
وان كرمت قبلي أوائل أسرتي
فاني بحمد الله مبدأ سؤدي

! أنه لا يلبث حتى يفقد وقاره ويوغل ويقول :

وما منصب الا وقدري فوقه
ولو حط رحلي فوق نسر وفرقد

وكنه حتى في هذا ، لا يفارق دنيا الشعر • ثم يحس بعض ما يحسه الناس
عندما يسمعون مثل هذا البيت فيرهن ويرر :

إذا شرفت نفس الفتى زاد قدره
على كل أسنى منه ذكرا وأمجد

تـ يشير الى سبب من الاسباب المباشرة في استفزازه :

يكأترني من لا يقاس نجاده
بشهي اذا ما ضمنى صدر مشهد

والحقيقة ان شكوى الطغرائي من المكائرين والمنافسين والاعداء ••• كثيرة

وشديدة حتى ليبدو وكأن الشكوى جزء لا يتجزأ من خلقه ، وهذا صحيح ،
وكنه لم يشك لمجرد الشكوى ، ولم يتألم من الاعداء من كل نوع ••• وانما
كانت الشكوى عنده ضربا من الفخر وهي تصدر عنيفة و « رائعة » لانها تصل
ضماحه وتعرب عن أهم مكونات نفسيته وأبرز مبررات وجوده ، أعني المنصب •
وذا تزعزع هذا المنصب وأوشك أن ينقض صاح معتزا شاكيا :

إذا لم يكن لي في الولاية بسطة

يطول بها باعي وتسطو بها يدي

— ولا كان لي حكم مطاع أجزه
فأرغم أعدائي وأكبت حسدي
— ولم يفس بابي موكب بعد موكب
مخافة ايعاد وتأميل موعد
— فأروح من هذا اعتزال يصونني
صيانة مطرور الغرارين مغمد
فأعذر ان قصرت في حق مجتد
وآمن أن يعتادني كيد معدي
أأكفي ولا أكفي وتلك غضاضة
أرى دونها وقع الحسام المهند ...

ان همه ، كل همه من الدنيا ولاية وبسطة في الولاية ، ومتى أحس بعد
هذا وابتعاده ، ساوره الغم وانتابه الاسى • وعليه ، فلا غرو ان أثارت فيه مصيبة
عام ٥٠٥ أعنف الايات •

ومذ فقد المنصب تذكر (لاول مرة) أنه غريب في بغداد وأن له وطنا في
غيرها ، وأن عليه أن يأوى الى الراحة :

— فم الإقامة بالزوراء ، لا سكني
بها ولا نأقي فيها ولا جملي

وتنقل عليه الإقامة ببغداد ، ويثقل عليه أهل العراق فيدون لناظره
وكلهم مساوىء :

— مهلت ثوائي بالعراق وملني
رفاقي وكانوا بالعراق طرابا

ويعتبه فقد المنصب على الايغال في التشاؤم من البشر فيعمم الخاص •

وأعدى عدوك أدنى من وثقت به
فحاذر الناس واصحبهم على دخل

وهذا منتهى التشاؤم • وقد يؤاخذه عليه مؤاخذ ممن يدعون للتفاؤل
وتحسين الرأي بالانسان ولكن هذا لا يغير من الحقيقة برأي الطغرائي أيام
صاب ، أما في غيرها فقد يعتدل ويعمل ويقول :

ومن تطامن للدينا غواربه
لم يخل من نصب فيها ومن رغب

أو يقول :

والعيش كالماء قد يصفو لشاربه
حينا ، ويشرب أحيانا على الكدر
حننا عليه فلما طاب موردنا
أقامنا الخوف بين الورد والصدر

أو انه يعزي نفسه ويطمعها بالمستقبل :

كأن لم يكن بالمرء من قبل عشرة
إذا انتعشت تلك الجدود العوائر

أو انه يكل أمره الى الله الذي بيده كل شيء :

تفرد الله بالتدبير ما اشركت
فيه نجوم ولا شمس ولا قمر

فكل الى الله ما أعيك مطلبه
فسوف يأتي بما لا تأمل القدر
سوالخير والشر منه جاربان على
ما شاء : لا حيلة تفني ولا حذر

وكلما ضاقت به الاحوال وكلما نظر فيما حوله ازداد ايماننا بأن لا حيلة
تفني ولا حذر ، ولكنه يعول في هذه المرة على الحظ وسلطان الحظ :

أو ما ترى الارزاق تطلب غافلا
وتصد عن لهفان وهو طلب
وأرى الجدود هي الحواكم للورى
وبهن يخفق طالب ويصيب
فاذا قطعك فالقريب مبعده
واذا وصلتك فالبعيد قريب

وقد تخالفه وأنت في حالتك الهادئة ، ولك الحق ، الا أنه يرى الدنيا من
زاوية مصابه ويأسه :

فأين مفري وما حيلتي
وجدني في كل صوب أمامي

ولا يرده الى التفاؤل الأمر والنصح ، وانما أمله في تغير الاحوال : « ما أضيقت
العيش لولا فسحة الامل » ، وبالصبر انتظارا للطالع السعيد :

لا تجزعن ان فوات ما رمته
واشدد عرى عزمك بالصبر
فالجهد ان ساعد نال الفتى
بغيته من حيث لا يدري

وهكذا تصل « فلسفته » في الحياة بالمنصب وتصل أكثر من ذلك بفقد

نصب وما يسبب ذلك من ضيق وألم وشكوى يعممها على الناس ونواميس
حيث ، ولا غرو في أن يقول في مثل هذه المواقف مثل ما سمعنا ، ومثل :

— ألم تر أن الناس أبناء دهرهم
وكلهم في فعله كأبيه
— فان غدرت بالحر يوماً بناته
فذاك قليل من كثير بنيه
— هي الدار ينو بالقطين جنبها
فمن خامل يتابه ونبيه
تخبرنا عن تقدم قبلنا
وان لم نسألها بكيف وايه
ومثل :

— ولقد بلوت الدهر أعجم صرفه
حتى استوى المكروه والمحبوب
— سل بي بنات الدهر فهي خيرة
اني عن المرعى الذميم عزوب
— تبا لمن يمسي ويصبح لاهيا
ومرامه المأكول والمشروب
ومثل :

— وأكثر الناس من تشقى بصحته
ومصطلبي النار لا يخلو من الشرر
— تشابهوا في طباع الشر بينهم
على اختلاف من الاهواء والصور

* * *

فلا ترومن انصافا وقد شهدت

مخالب الليث أن الظلم في الفطر

هذه هي « فلسفة » الطغرائي ، وفيها كثير من الحرارة والشدة لانها تعبير عن وخزات الالم واعراب عن الساعات السود • واذا أضفت الى هذه الساعات ما لقي الشاعر في حياته من تجارب ، علمت أن الرجل أصبح أهلا لان ينصح ويعظ ، وهذا ما حدث فعلا ، فقد أسدى ثمرات خبراته الى الآخرين مبتدئا بالاقرب فالاقرب داعيا الى الاحتمال من الاعداء ، والمجاملة ، والقناعة بميسور العيش ، واطاعة الآباء ، والصبر على تصارييف الزمان ، والمصافاة والشكر والتعاون ، وهو صاحب :

— كونوا جميعا يا بنيّ اذا اعترى
— تأبى القداح اذا اجتمعن تكسراً
خطب ولا تفرقوا أحادا
واذا افرقن تكسرت أفرادا

وصاحب :

— أخاك أخاك فهو أجلُّ ذخرٍ
— وان رابت اساءته فهبها
اذا نابتك نائبة الزمان
لما فيه من الشيم الحسان ••

ونصائحه لا تكاد تزيد عن فكرة شائعة رصفت في كلام موزون مقفى يسهل سماعها ، ويسهل حفظها دون أن يرتفع بها كثيرا عن النثر •

ويبدو الطغرائي في النصائح والخطرات الفلسفية ••• والشكوى والفخر والمديح •• مهموما مغرقا في الجد ، منصرفا الى جانب واحد لا يعنيه غيره من الحياة ، مما يبعث على التساؤل ، ويزيد التساؤل وجاهة اذا تذكرنا انه مر بأيام سعادة حققت له بعض ما كان يصبو اليه • ونعود الى الديوان بنية جديدة نستجلي بها الجانب الضحك من حياته فنرى هذا الجانب ضيقا يتمثل في هذه الرسالة التي

كتبها الى عز الدين بن حامد المستوفى يدعو ليشاركه النشوة :

فديتك قد تبهنا لدهر
وجاد لنا الزمان بجمع شمل
مدام يشبه التفاح ذوبا
ومن نسج الربيع محبرات
وأصوات الثالث والمثاني
وريان الصبا للحسن فيه
له من فلك صدغيه نجاد
ومجلسنا على ما فيه يرمى
فلا تعتل بالاشغال واحضر
عيون صروفه عنا نيام
تألف بعدما انقطع النظام
وتفاح كما جمد المدام
تأنق في حواشيها الغمام
كما سجمت على الايك الحمام
بدائع لا يحيط بها الكلام
ومن ألحاظ عينيه حسام
بنقصان وأنت له تمام
على عجل والا فالسلام

والرسالة طريفة • وله رسالة اخرى يدعو بها الى مائة « ثرية »
بكل ثري :

فديتك قد حان وقت السحور
وجاء الطهارة بما عندهم
ومد القباطي فوق الخوا
وحان الصلاة على ابن الشهيد
وفوق المنصة مجلوة
بنات المؤذن ذاك الذي
سين وعرين من بعدما
فلما سلبن الثياب ابتلين
أصابعها الحجن مسنونة
فزارت بهن سواء الجحيم
فمصلوبة سمّرت كفهها
ومثقوبة البطن في جوفها
ولاح الصباح ولم تحضر
وحت السقاة على المسكر
ن يلمع كالقمر المزهر
فحيّ على دفته تؤجر
علينا عرائس من سكر
يؤذن والصبح لم يسفر
ذبحن فيا لك من منكر
بسوداء موحشة المنظر
نواشب منهن في المنخر
ترتج بالملهب المسعر
الى جيدها وهي لم تشعر
كرات من الذهب الاحمر

وأخرجن منها الينا يسق
فبادر الينا فدتك النفوس
وشارك بأفعالك الأقدمي
ن سوق العصاة الى المحشر ••
ولا تتوقف ولا تقتر
ن في العزف والخمر والميسر

والقصيدة مثل على ترف الشاعر وترف عصره ، وهناك أمثلة اخرى يمكن
أن نراها في وصف الغدران والرياض ووصف مظاهر الطبيعة الاخرى من سماه
ونجوم وكروم وورود ••• وقد زخرت هذه الاوصاف بالزبرجد والياقوت
والمسك والحريير و « حقائق تبر بطنت بفضة » :

وترى شقائقها خلال رياضها
فكأنها والريح يصقل خدتها
أوفت مطارفها على أزهارها
والسحب تملؤها بصوب قطارها
سأقداح ياقوت لطاف أترعت
زاحا فبات المسك سؤر قرارها

وهذه مسميات وتشايه لا تنهياً الا لاهل النعمة والثراء الذين عرفوها
وألّفوها ، وهو في ذلك أقرب الى ابن المعتز الذي وصف ما رأى وما ملك • وهو
اذ يقرب منه بذلك ، يقرب كذلك بفنه الذي جاء « ماديا » وعرضا من الخارج ،
وبأسلوبه الجاف الذي يكاد - في جملته - يستحيل نثرا •

والطغرائي الى جوار هذا الترف الاجتماعي الذي بدا في وصف الطبيعة
ووصف الموائد ، ترف فني يبدو في غزله الذي كان يقوله ليرضي المفاهيم الفنية
في عصره وليزجي فيه طرفا من أوقات الفراغ •

ويقوم هذا الغزل على المهارة قبل كل شيء ، وتتلخص هذه المهارة في القدرة
على الظهور بمظهر العاشق - والعاشق الكبير دون معاناة لعشق ودون وقوع في
حب ، وكل ما في أمره انه نظم لمعان شائعة ذائعة فيه الغرام والوله ، والموعد واللقاء ،
والعاذل والواشي ، وسهر الليالي ، ونحول البدن •• والدموع • معان هي
معاني كل الناس ، ولو قرأها قارئ ، وهو خالي ذهن من تاريخ الغزل في الادب
العربي وجاهل بأسرار الكذب ••• لحسبها صدقا ولبنى عليها أحكاما لا تمت
الى الواقع بسبب متين وقد يستنبط أن الطغرائي عاش في جزيرة العرب ومثل

توارده الكثر على مسارح الجرعاء ، الحمى ونجد والحجاز والغور والعذيب
:روني العقيق والاجرع الفرد ، ويروح يبحث في كتب الجغرافية والبلدان
بشكل البحث . وفي ذلك ضلال كبير ، لان الطغرائي لم ير شيئا مما ذكر
ويعيش يوما في هذه الاماكن التي طال حنينه اليها وتعددت مغامراته في أركانها ،
وأخذ من بيتها تشابيهه ومن أهلها مظاهر حياتهم .

وليست المسألة مسألة قول ، لان هذا القول ابن المهارة أولا وقبل أي شيء ،
وفد أوتي الطغرائي كل الادوات اللازمة للنجاح في هذا الفن من لغة وحفظ
ومران واعجاب بالشريف وجميل والبحثري وابن أبي ربيعة وأضرابهم . وتقليده
شريف الرضي واضح لا غبار عليه ، وقد نص هو نفسه على المعارضة (٣) .

وقد بلغت مهارة الطغرائي من الدقة بحيث جلت هذا الشعر الذي لا يمت
ر حقيقة بصلة في حلّة تجذب القارىء وتستثير اعجابه وقد نخدعه أحيانا
عن نفسه فيخال صدقا ما لم يكن بصدق .

ومما يقصه علينا أبو اسماعيل من أوطار هذا « الحب » وأطواره ، أن
حييته « كانت توافيه فيتطارحان الاسرار :

— أنت وهي أحلى للفؤاد من المنى
وأطيب من تهويمة الفجر في جفني
* * *
— فرشت لها خدي وقبلى كفها
خضوعا ولا تقيل مستلم الركن
— ولما تطارحنا الاحاديث بيننا
وبحنا بأسرار القلوب ولم نكن

(٣) ننظر ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ من ديوان الطغرائي ، وتقابل
— ص ٥١٦ ، ٤٦١ ، ٥١٧ ، ١١٩ ، ٤٤٢ ، ٤٥٢ ، ١٥٢ من ديوان الشريف
— رضى ، طبعة دار الاخبار .

حلفت لها بالبدن تدمى نحورها
اليتة بر صادق ليس يستتني :
لانت صميم القلب في النفس والذي
اذا رمت حبا غيره فهو ما أعني
وما اقتسم العشاق مذ صرت بينهم
سوى سؤر وجدي والبقية من حزني

وتستزيده عن أخبار اللقاء فيقول :

فلم أر الا ما ألد وأشتهي
ولم يك الا ما أود وما أرضي

وتستزيده وتستوضحه ، فينبئك حديث القبل :

ء وافت وفوق لآلي الشعر من لعس
ختام مسك ففضت ختمها القبل

ثم حديث التقى والعفاف :

ء بتا وبات التقى يقظان يحرسنا
ودينا في الهوى قول ولا عمل
ء ثم اثينا وجيبي ليس يعلقه
غير العفاف وردني من دمي خضل

وليست هذه المرة الاولى أو الاخرة فلطالما عف وهو قادر :

ء وليلة وصل قد قدرت فصدني
حيائي الا ان الحياء رقيب

ولكن ، ليس الحب وصلا فقط ، كيف لا ، وهناك البعد والفراق وما
يجذب من جزع وحزن :

هم نزعوا من طاعة الصبر بعدهم
يدي وأغروا ناجذي بناني

وسهر ونحول :

ههناك الكرى يا راقد الليل انني
ألفت سهادا طاب لي وهناني

* * *

ههنا في صاحبي سري وجهري أسعدا
فلم يبق مني غير ما تريان

وإذا حالت الحوائل دون الوصل واخفق الوشاة في عبثهم صاح :

هم أرجفوا بالوصل بيني وبينكم
وظن بنا فيما حكوه ظنون
ههنا فليت أرجيف الوشاة حقيقة
وليت ظنون الكاشحين يقين

وكان بوده لو كتم حبه وعفى على أشواقه - ولكنه يحاول عبثا :

ههنا سري حيث لا يدري الضمير مكانه
ولا يهتدي يوما اليه الهواجس
ههنا إذا قلت هذا يوم أسلو تراجعت
عقاييل من أسقامه ووساوس

يحاول ، ولا يستطيع :

ههنا ومن لي بكتمان الهوى ومدامعي
تتم وأنفاسي الحرار تشيع

وينحى باللائمة على قلبه :

يا قلب ما لك والهوى من بعدما
طاب السلو وأقصر العشاق
أو ما بدا لك في الإقامة والأولى
نازعهم كأس الغرام أفاقوا
مرض النسيم وصح ، والداء الذي
أشكوه لا يرجى له افراق
وهذا خفوق البرق والقلب الذي
تطوى عليه جوانحي خفاق

* * *

وأنا الفداء لمن تصرم جيله
عني ولم تصرم الاعلاق
يا حبذا نجد وأعراق الثرى
لذن ، وأنفاس النعيم رفاق

والغالب على نسيب أبي اسماعيل فخامة اللفظ وفخامة التراكيب ، الا أنه قد
بسمل حتى يقرب من منهج العباس بن الاحنف فيقول :

ظلوم ليس ينصفني يواعدني ويخلفني
يضن بما أكلفه وأبذل ما يكلفني
يقول : - وقد شكوت اليه ما ألقى - أتعرفني ؟
فقلت له أنكرك من يعذبني ويتلفني

وقد ذكرنا أسباب نجاح الطغرائي في مزاولة الغزل التقليدي ، وكان علينا
أن نضيف سببا آخر هو استفادة الشاعر من تجاربه الخاصة فلقد رأيناه في مطلع
حياته مجبا صادق الحب وقد فجعته الزمان بحبه ذاك فكان الرثاء الذي رأيناه على

حسن ما يكون عليه الغزل ، ثم سار الزمان وأراد أن ينظم كما نظم الآخرون ان
 في انقطعات ، وان في مطالع قصائد المديح فنهل من معاني القدامى ومن تراكيهم
 وفي أجاد في ذلك اجادة ملحوظة ، ولكنه كان يفيد أيضا - بقصد أو بغير قصد -
 من رصيده القديم • فاذا تحدث عن الاشواق والوصل والعدال والسكران
 والاضياف ••• لم يبدأ من صفر ، بل ان بين الصفحات التي كرسها الديوان
 عربن التقليدي أبياتا يطغى فيها الرصيد الاول حتى لتخالها مما قاله في حبيبة
 منها • ومن ذلك هذه الايات :

أضنى طارفا شكا أم تليدا	سخرورها أنى مرضت فقالت
فأبت وهي تشتهي أن تعودا	سوأشاروا بأن تعود وسادي
رقبة الحي والنزار البعيدا	سوأنتني في خفية وهي تشكو
أن أمالت علي عطا وجيدا	سورأتني كذا فلم تمالك
ويح هذا الشباب غضا جديدا	سثم قالت لتربها وهي تبكي
علمت جمره الفؤاد وقودا	سزورة ما شفت عليلا ولكن
زفرات أبين الا صعودا	سوتولت بحسرة البين تخفي

بمه هذان البيتان :

على موعد البين المبدد ، واقع	سأجمأ البكا يا مقلتي فانتي
فوا خجلتا ان لم تعني المدامع	سأذا جمع العشاق موعدهم غدا

خاتمة :

طرق الطغرائي كل أغراض الشعر المعروفة في عصره ، وكان مجيدا في
 لئنه لزوجه اذ أعرب عن حزنه بشعر هو البكاء والدموع ، وكان أصيلا مجيدا
 في فخره بفضله وطماحه الى المجد اذ جلا ثقته بنفسه وجلا صورة الطغرائي ،
 وشن بدا مغاليا ، فان نصيب الواقع من أقواله غير قليل ، والمنصب - على أية حال -
 متاح شخصية الشاعر وسر الصدق في فخره وشكواه ، لان الشكوى في شعره
 صرب من الفخر ، وتبدو على أعنف ما يمكن عندما يمس منصبه بسوء ، ومثل
 شكوى ما مت اليها بصلة من حكم ووجهات نظر •

ولئن كان حظ العاطفة كبيرا في أكثر ما قال من هذه الاغراض ، وكان
 حظ الصور والاخليلة مرتبطا بهذه العاطفة فان للتراكيب وما فيها من أفاظ وصلة

اللفظة باللفظة بحيث تأتي الايات محكمة السبك ، صلة واضحة بالعاطفة والخيال وقد تماسكت الايات وترابطت الوحدات الفكرية الصغيرة ضمن اطار فكرة سائدة فبدأت القصيدة بعيدة عن التكلف والتصنع ، وبدأ الشاعر وكأن همه الاول الاعراب عما ينتاب قلبه من ألم وأمل ولا يهمه بعد ذلك أن يرضى عنه الآخرون أو أن يسخطوا •

أما أغراضه الاخرى في المديح والغزل والاخوانيات والوصف فتقوم أول ما تقوم على المهارة واردة النظم والقصد اليه من أجل غاية خارجة عن طبيعة نفسه وخارجة عن طبيعة الشعر ، فهو اذ يمدح ويعدد الصفات المعروفة في الشجاعة والكرم انما يريد أن يرضى أناسا بعينهم من أجل نفوذهم ثم هو يعلم ان مثل هذا الشعر في المديح وغيره ينشد في المجالس ، وللمجالس ذوق خاص فهي تعجب بغرابة اللفظ وغرابة الجناس والطباق والكناية والاستعارة ••• كما انها تعجب بمعان وموضوعات وتراكيب مكررة معادة ولكنها من مخلفات السلف الصالح ••• وهذه مطالب كثيرة ينوء بها الشعر ولا يمكنه النهوض معها سليما متدفقا ، وهذا الذي حدث للطغرائي ولغيره ، ولكن الشاعر المتمكن يستطيع أن يعوض بالمهارة عن الصدق والعاطفة والخيال - تعويضا ما ، وهذا الذي أضفى على اشعار الطغرائي في هذه الاغراض شيئا من الطرافة والرونق • دون أن يسلم من الوقوع بين الحين والحين في سخف التراكيب وسخف الافكار ، وقد توهمه المهارة الزائدة باختيار قواف صعبة كالحاء والضاد والصاد ، وبالنظم على قافيتين وبمعارضة الشريف الرضى والبحترى ••• فيوقعه توهمه في وهن شعري جديد •

ولئن كان لشعر المهارة قيمة تاريخية ولبعضه طرافة تجتذب القارئ ، واذا كان الشاعر قد أضاف الى ذلك شعرا تعليميا يعنى به طلاب الحكمة من أي اناء خرجت وطلاب الكيمياء كيفما عرضت ، فان أهمية الطغرائي الاولى لدى القارئ الحديث تأتي من شعره الاصيل في الرثاء والفخر والشكوى حيث يجد القارئ العاطفة والخيال والبناء ويجد أسرادا من طوايا نفس الشاعر ونفس الانسان فيقرأ الاثر اعجابا وتقديرا •

الأميرة الطفلة

رموز التحقيق

- ل - مخطوطة ديوان الطغرائي بلندن
- غ - مخطوطة ديوان الطغرائي نسخة راغب باشا
- يا - ياقوت في ارشاد الاديب . ط . دار المأمون
- خ - ابن خلكان . ط . الوطن
- ص - الصفدي ، الغيث . ، ١٣٠٥

١

النص محققا

(١)

- أصالةُ الرأي صاتني عن الخَطَلِ
وحلية الفضل زاتني لدى العَطَلِ (١)
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرعاً
والشمسُ رآدَ الضحى كالشمس في الطفَلِ (٢)

(١) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب ، العطل : في الاصل خلو جيد المرأة من القلائد ، وفي البيت تجريد الشاعر من المنصب .
(٢) مجدي أخيراً ومجدي أولاً : قد يكون القصد ، مجدي بعد التعطيل وقبله ، وقد يكون ، مجد أسلافي ومجدي ، المعنى الاول أنسب . شرع : سواء .
رآد الضحى : شروق الشمس بعد طلوعها ، والرآد ارتفاعها . الطفَل : قرب الغروب ، طفلت الشمس ، مالت الى الغروب . والمقصود في البيت : الرآد أول =

- بِمِ الْأَقَامَةِ بِالزُّورِ لَا سَكْنِي
- (٣) بها « ولا ناقتي فيها ولا جملي ، »
- بِئْسَ عَنِ الْأَهْلِ صَفْرُ الْكَفِّ مُفْرَدٌ
- (٤) كَالسَّيْفِ عُرِّيَ مُتَنَاهٍ عَنِ الْخِلِّيلِ
- فَلَا صَدِيقَ إِلَيْهِ مَشْتَكِي حَزَنِي
- (٥) وَلَا أُنَيْسَ إِلَيْهِ مُتَهَيِّجٌ جَذَلِي
- ضَالٌ اغْتَرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي
- (٦) وَرَحَلُهَا وَقَرَى الْعَسَالَةَ الذُّبْلَ
- وَضِحَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِي وَعَجَّ لِمَا
- يَلْقَى رِكَابِي ، وَلَجَّ الرَّكْبُ فِي عَذَلِي (٧)

= النهار ، والطفل آخره .

والمعنى : مجدي في الاول والآخر سواء ، كما ان الشمس هي الشمس في اول النهار وفي آخره .

(٣) غ ، يا ، خ ، ص لا سكني : لا وطني ، ل . السكنن : ما يسكن اليه الانسان من زوج وغيره .

(٤) غ ، يا ، خ ، ص كالسيف . عن : كالنصل . س ، ل . متناه : المتن الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال ، وهما جانبا السيف . الخلل : جمع خلة ، والخلل بطائن كانت تغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره .

والمعنى : أصبحت كالسيف الذي جرد من حليته فلا تنظره العيون .

(٥) صديق . . أنيس شكلها ناشر ياقوت : صديق (بضمين) . . أنيس (بضمين) . ل ، يا ، خ ، ص اليه منتهى : لديه ، غ .

(٦) ل ، غ ، خ قرى : قرا ، يا . وشكلت في غ بكسر القاف . الراحلة : الناقة ، العسالة : واحدها عسال ، وهي الرماح ، قرى : أعلى السنان ، الذبل : جمع ذابل ، وهو من صفات الرمح كأنه يصف الرماح بالخفة والدقة .

طال اغترابي وامتمد سفري الى أن حنت راحلتي وحن رحلها وحننت أعالي رماحي الى الدعة والسكون والاستقرار .

(٧) النضو : البعير المهزول .

أُرِيدَ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا
 عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ اللَّعْلِيِّ قَبْلِي^(٨)
 وَالذَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي وَيُقْنِعُنِي
 مِنَ الْغَنِيمَةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالْقَفْلِ^(٩)

(٢)

وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرَّمْحِ مَعْتَقِلٍ
 بِمِثْلِهِ غَيْرِ هِيَابٍ وَلَا وَكِلٍ^(١٠)
 حَلَوُ الْفُكَاكَةِ مَرَّ الْجَدِّ قَدْ مُزِجَتْ
 بِقَسْوَةِ الْبَأْسِ مِنْهُ رِقَّةُ الْغَزْلِ^(١١)
 طَرَدَتْ سُرْحَ الْكُرَى عَنْ وَرْدِ مَقْلَتِهِ
 وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالْمُقْلِ^(١٢)

(٨) ل ، غ للعلي : للعلا ، يا ، خ ، ص .

بسطة كف : سعة في المال .

(٩) ل ، غ ، خ ، الكد : الجد ، يا .

(١٠) ل ، ص ، بمثله : لمثله غ ، يا ، خ .

الشطاط : بالفتح والكسر اعتدال القامة (واختار ناشر ياقوت فتح
 الشين) . الاعتقال : هو أن يضع الفارس رمحه بين ساقه وركابه ، ومعتقل
 مجرور على انه صفة بعد صفة لذي . بمثله : جار ومجرور في موضع نصب
 مفعول لاسم الفاعل وهو معتقل كأنه قال معتقل مثله (بفتح اللام) . غير :
 مجرور على انها صفة لمعتقل (وقد شكلها محقق ياقوت بفتح الراء) . الوكل :
 العاجز الذي يتكل على غيره .

(١١) حلو ٠٠ مر ٠٠ في الصفدي صفة لذي في البيت الذي تقدم . وكذلك
 ورد شكلها في غ . أما (ل) ومحقق (يا) فاختار الضم .

غ ، يا ، خ ، ص مزجت ٠٠ منه : لعبت ٠٠ فيه ، ل . ل . غ ، بقسوة :
 بشدة ، غ ، يا ، خ ، ص .

(١٢) ورد بكسر الواو ، وجاءت بالفتح في ع ، يا . السرح : المال السائم .
 السوام : المال الراعي .

منعته النوم بالمحادثة ونحن في ليل قد أقبل بالنوم على العيون .

- والركبُ ميلٌ على الاكوار من طربٍ
 صاح ، وآخر من خمر الكرى تميل (١٣)
 فقلتُ أدعوك للجلى لتَنصُرني
 وأنت تخذلني في الحادث الجلل (١٤)
 تامٌ عني وعينُ النجم ساهرةٌ
 وتستحيل وصبغ الليل لم يحل (١٥)
 فهل تعينُ على غيِّ همتُ به
 والغى يزجر أحيانا عن الفشل (١٦)
 اني اريد طروقَ « الحي » من « اضم »
 وقد حماه رماة الحي من « نُعل » (١٧)

(١٣) ل ، غ ، ص ، الكرى : الهوى ، يا ، خ .

طرب بكسر الراء في (غ) ، وقال (ص) بكسر الراء ، اسم فاعل هنا وليس مصدرا فنتفتح الراء لانه لو كان مصدرا لفسد المعنى ، وكان الجار والمجرور مفعولا من أجله ~~كان~~ قوله وآخر من خمر الكرى معطوفا على غير شيء ولم يتعلق بما يربطه . . . وآخر معطوف على طرب ولم ينجر لانه غير منصرف . ووردت طرب في (ل) وعند محقق ياقوت بفتح الراء ، ووردت آخر في (غ) ويا بضم الراء .
 ميل : جمع أميل وهو الذي لا يستوي على السرج . والطرب : خفة تلحق الانسان لشدة حزن أو سرور . يقول الصفي انه هنا يحتمل أن يكون من الفرح وان يكون من الحزن ، ولكنه الى الحزن أقرب لانه جاء في سياق شدة السهر .

(١٤) غ ، يا تخذلني (بضم الذال) : تخذلني (بكسر الذال) ، ل .
 الجلى : الامر العظيم .

(١٥) غ ، يا ، ص ، عني : عيني ل ، خ ، يا ، خ الليل : النجم ، ل ، غ .
 تستحيل : تتغير . الصبغ بالفتح اللون وقد وردت كذلك في غ ، ص .
 وفي ل ، يا بالكسر . وهو ما يصبغ به .

(١٦) ل ، يا ، خ ، ص ، يزجر : يصدف ، غ .
 الغي : الضلال . الفشل : الجبن .
 هل لك أن تعين صاحبك على غي هم به ، فان الغي يمنع الانسان في بعض الاوقات عن الجبن .

(١٧) غ ، يا ، خ ، ص ، الحي : الجزع ، ل ، يا ، خ ، ص ، حماه :
 رماه ، ل : حمته ، غ ، ل ، يا ، ص ، رماة : حماة ، ل . في ل ، رماة الحي =

يحمون بالبيض والسمر اللّدان به

سودَ الغدائر حمراً الحلى والحلّ (١٨)

فسر بنا في ذمام الليل معتسفا

فنفحة الطيب تهدينا الى الحلّ (١٩)

فالحبّ حيث العدا والاسد رابضة

حول الكناس لها غاب من الأسل (٢٠)

نؤم ناشئة « بالجزع » قد سقيت

نصالها بيساه الغنّج والكحلّ (٢١)

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها

ما بالكرائم من جبن ومن بخلّ (٢٢)

تبت نارُ الهوى منهنّ في كبدي

حرّى ، ونار القيرى منهم على القلّ (٢٣)

= من ثعل ، وفي غ ، حماة الحي من ثعل . وفي يا ، خ ، ص : رماة من بني ثعل .
أضم : جبل بأرض المدينة . ثعل : أبو حي من طيء وهو ثعل بن عمرو .
وبنو ثعل مشهورون باتقان الرمي .

(١٨) غ ، يا ، خ ، ص ، به : بهم ، ل .

به : الضمير يعود الى الحي . الحلل : جمع حلة وهي البردة اليمانية ،
والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .

(١٩) ل ، يا ، خ ، ص ، ذمام : ظلام ، غ . غ ، يا ، خ ، ص ، معتسفا

فنفحة : مهتديا بنفحة ل .

معتسفا ، اعتسف مشى على غير هداية ومعرفة . الحلل جمع حلة : بيوت القوم .

سر بنا في ذمة الليل فانه يسترنا ، واعتسف السير ولا تخش الضلال عن

طريق الحي ، فان نفحة الطيب من أهله ترشدك الى الحلة التي هم بها نزول .

(٢٠) ل ، يا ، خ ، ص ، العدا : العدى ، غ .

الكناس : موضع الطيبي . الاسل : الرماح .

(٢١) الجزع : منعطف الوادي . النصال : جمع نصل وهو حديدة

السيف والسهم . وهنا ، نصالها التي تحميها .

(٢٢) ل ، يا ، ص ، طيب : غ ، طيب . ل ، بخل (بفتحتين) غ ، يا : بخل

(بضمّتين) ل والجبن والبخل صفتان محمودتان في النساء برأى القدماء .

(٢٣) غ ، يا ، ص ، القلّ : قلل ، خ : قبل ، ل .

نساء الحي حسان ، ورجاله كرام .

- يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حَبٍ لَا حَرَكَ بِهَا
 وينحرون كرامَ الخيل والابل (٢٤)
 يُشْفَى لِدَيْغٍ الْعَوَالِي فِي بُيُوتِهِمْ
 نهلة من غدير الخمر والعسل (٢٥)
 لَعَلَّ الْمَامَةَ « بِالْجِزْعِ » ثَانِيَةً
 يدبُّ منها نسيمُ البرءِ في عللي (٢٦)
 لَا أَكْرَهُ الطَّعْنََةَ النَّجْلَاءَ قَدْ شُفِعَتْ
 برشقة من نبال الاعين التُّجُلُ (٢٧)
 وَلَا أَهَابُ الصَّفَّاحِ الْبَيْضَ تُسَعِدُنِي
 باللمح من خَلَلِ الْإِسْتَارِ وَالْكِلِّ (٢٨)
 وَلَا أَخِيلُ بِغِزْلَانٍ أُغَاذِلُهَا
 ولو دهنتي أسود الغيل بالغيل (٢٩)

(٢٤) بها ، ل ، غ ، خ ، ص ، بهم : به ، يا . ل ، غ ، خ ، ص ،
 ينحرون : يحتوين ، يا .
 أنضاء : جمع نضو .

(٢٥) غ ، يا ، خ ، ص ، العوالي : الغواني ، ل . ل بيوتهم : بيوتهم ، غ ،
 ومن الخطأ المطبعي في يا كسر الياء . غ ، يا ، خ ، ص . غدير : لذيد ، ل .
 ان الذي تطعنه الرجال بالرماح ، متى ارتشف شربة واحدة من ريق هذه
 الفتيات شفي .

(٢٦) غ ، يا ، خ ، ص ، عللي : علل ل .

(٢٧) غ ، يا ، خ ، ص ، برشقة : برشقة ، ل : بردفة ، المطبوع . كأنه
 يهون على صاحبه ما توهمه من بأس رجال الحي لما أخذ يصفهم بالشجاعة والغيرة .

(٢٨) غ ، يا ، خ ، ص ، الصفاح : صفاح ، ل . يا ، خ ، ص ، من خلل
 الاستار : من صفحات البيض ، ل ، غ .
 تسعدني : تعينني . الخلل الفرجة بين الشيتين والجمع الخلال مثل جبل
 وجبال ، هكذا في الصفدي ، وقد كسر محقق ياقوت الخاء .

(٢٩) ل ، غ ، ص ، أغازلها : تغازلني ، يا ، خ ، غ ، الغيل بالغيل : الغيل
 (بفتح الغين) ل : الغيل بالغيل (بفتح الغين الأولى وكسر الثانية) يا .

حُبُّ السَّلَامَةِ يَثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ
 عَنْ الْمَعَانِي وَيُغْفِرِي الْمَرْءَ بِالْكَسْلِ (٣٠)
 فإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا
 فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَمًا فِي الْجَوِّ فَاعْتَزِلْ (٣١)
 ودعْ غَمَارَ الْعَلِيِّ لِلْمُقَدِّمِينَ عَلَى
 رُكُوبِهَا ، وَاقْتَعِ مِنْهُنَّ بِالْبَلْلِ (٣٢)
 رَضَى الذَّلِيلُ بِخَفْضِ الْعَيْشِ مَسْكَنَةً
 وَالْعَزُزُّ عِنْدَ رَسِيمِ الْإِيْنِقِ الذَّلِيلِ (٣٣)
 فَادْرَأْ بِهَا فِي نُحُورِ الْيَدِ جَافِلَةً
 مَعَارِضَاتٍ مِثَانِي اللَّجْمِ بِالْجُدْلِ (٣٤)

(٣٠) ل ، غ ، يا ، خ ، ص ، هم : عزم يا (طبعة مارغوليوث)
 ان ملت الى حب السلامة فادخل في نفق في الارض أو اصعد في سلم في الجو ،
 لان السلامة متعذرة عليك ما دمت بين الناس ولا سبيل الى النزول في النفق ولا
 الى الصعود في سلم في الجو ، اذ لا بد لك من الناس ، والسلامة فيهم عزيزة - وفي
 هذا تحريض على الحركة والسعي والاجتهاد في احراز المعالي ، لان السلامة
 ممتنعة ، فالاولى بالانسان الطلب والسعي الى المعالي .

(٣١) غ ، يا ، خ ، ص ، سلما : مصعدا ، ل ، غ ، ل ، يا ، ص ،
 فاعتزل : واعتزل ، خ .

(٣٢) ل ، ص ، غ ، العلي : العلا ، يا ، خ .
 غمار : جمع غمر وهو في الاصل الشدة والزحمة ، وفي الماء : اللجج .

(٣٣) ص ، رضى ، خ ، رضا : يرضى ، غ ، ل ، يا ، ص ، يا ، خ ،
 مسكنة : يخفضه ، ل ، غ ، ع ، ل ، ص ، عند : تحت ، يا ، خ ، ص ، يا ،
 خ ، الاينق : الاينق ، غ ، ل .

الرسييم : ضرب من سير الابل . في الاينق قال الصفدي : جمع الناقة
 تقديرها فعلة بالتحريك لانها جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب
 وقد جمعت في القلة على انوق ، ثم انهم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها
 فقالوا أونوق . ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينق .

(٣٤) غ ، يا ، خ ، ص ، البيد : الخيل ، ل ، غ ، يا ، الجدل (بضم) =

ان العلى حدّقتي ، وهي صادقة
 فيما تحدث ، أن العز في النقل (٣٥)
 لو أن في شرف المأوى بلوغ منى
 لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل (٣٦)

(٤)

أهبت بالحظّ لو ناديت مستمعاً
 والحظّ عني بالجهال في شغل
 لعله ان بدا فضلي ونقصهم
 لعينه ، نام عنهم أو تنبه لي (٣٧)
 اعلل النفس بالآمال أرقبها
 ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل (٣٨)
 لم أرتض العيش والايام مقبلة
 فكيف أرضى وقد ولت على عجل (٣٩)

= الجيم والدال) : الجدل (بضم الجيم وفتح الدال) ، ل .
 ادراً : ادفع . جافلة : مسرعة . معارضات : مماثلات ، مباريات . مثاني :
 جمع مثنى أي اثنين اثنين . اللجم : جمع لجام . الجدل : جمع الجديل وهو
 زمام الناقة المجدول أي المحكم القتل .
 ادفع بالنوق والخييل في القفار مسرعة ، فعارض لجم الجيل بأزمة النوق -
 حثاً منه على السير .
 (٣٥) غ ، يا ، خ ، ص ، فيما : في ما ، ل .
 (٣٦) غ ، يا ، خ ، ص ، منى : على ، ل ، ابن جماعة . (ومن الخطأ
 المطبعي كسر الميم في يا) .
 الدارة : هي - في الاصل - ما يدور حول الشيء ، وتكون للقمر والشمس ،
 واستعملها الشاعر للحمل . والحمل : أول برج من بروج الكواكب الاثني عشر .
 (٣٧) لعله ، الهاء تعود الى الحظ .
 (٣٨) غ ، يا ، خ ، ص ، الأمل : الاجل ، ل .
 (٣٩) ل ، ص ، لم أرتض : لم أرض بالعيش ، غ ، يا ، خ ، غ ، يا ،
 خ ، ص ، وقد : فقد ، ل .

غالىَ بنفسى عِرْفانى بقيمتها
فصنتها عن رخيص القدر مبتذل
وعادة النصل أن يزهى بجوهره
وليس يعمل إلا في يدي بطل (٤٠)
ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني
حتى أرى دولة الاوغاد والسفل (٤١)
تقدمتي اناس كان شوطهم
وراء خطوي اذ أمشي على مهل (٤٢)
هذا جزاء امرى أقرانه درجوا
من قبله فتمنى فسحة الاجل
وان علاني من دوني فلا عجب
لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل (٤٣)
فاصبر لها غير محتال ولا ضجير
في حادث الدهر ما يُغني عن الحيل (٤٤)

(٤٠) غ ، يا ، خ ، ص ، وليس : فليس ، ل .

النصل : السيف .

عادة السيف أن يفخر بجوهره ، ولكن المراد منه القطع ولا يكون ذلك منه

الا اذا كان في يدي بطل يضرب به فيصيب .

انني في ذاتي كالسيف المجوهر لما حزته من العلوم وملكته من ممارسة

الامور وسياستها ، ولكن لا نفع لها ، لانها كامنة ، فلو باشرت أمرا أو توليت

ولاية ظهرت محاسني في الخارج وبرز في الظاهر نفع ما لدي .

(٤١) ل ، يا ، السفل (بفتح السين) : السفل (بكسر السين) ، غ .

وهذا دليل سوء الحال .

(٤٢) ل ، يا ، خ ، اذ : لو ، غ ، ص .

(٤٣) الشمس في الفلك الرابع ، والزحل في الفلك السابع .

أخذ يسلي نفسه ويتأسى .

وان علاني هؤلاء الذين ذممت دولتهم وأيامهم وهم دوني في كل شيء ، فان

لي اسوة بكون الشمس منحطة عن زحل .

(٤٤) غ ، يا ، خ ، عن : من ، ل .

لها : الضمير يرجع الى معهود في النفس لم يذكر وهي المقادير أو الايام =

أعدى عدوَّكَ أدنى من وثقتَ به
فحاذرِ النَّاسَ وَأَصْحَبَهُمْ عَلَى دَخَلِ (٤٥)
وإنما رجلُ الدنيا وواحدُها
من لا يعوَّل في الدنيا على رجل
وحسنُ ظنِّكَ بالأيامِ معجزةٌ
فظنَّ شراً وكن منها على وجَلِ (٤٦)
غاض الوفاء ، وفاض الغدر وانفجرت
مسافةُ الخلف بين القول والعمل
وشانَ صدقكَ عند النَّاسِ كذبُهُمْ
وهل يُطابقُ معوجٌ بمعتدلِ (٤٧)
ان كان ينجعُ شيءٌ في ثباتِهِمْ
على العهودِ فسبقُ السيفِ للعَدْلِ (٤٨)

= والحوادث • غير محتال : مسلما • حادث الدهر : ما يحدثه • الحيل : جمع
حيلة وهي الفكرة في بلوغ القصد بطريق خفي على غيرك •
اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها ، فان في حادث الدهر
ما يغني عن الحيل ، ويأتيك بما لا تقدر عليه بحيلك وحوذك •

(٤٥) الدخَل : المكر والخديعة •

• • خذ حذرَكَ من النَّاسِ وأصحابِهِم بالخديعة والمكر ، ولا تركن الى أحد
ممن وثقت به وطننت انه صديقك لانه أشد عداوة من كل عدو •
(٤٦) - (٤٧) ل ، يا ، خ ، ص ، وحسن ••• غاض : غاض ••• وحسن ،
غ • ل ، وكن منهم : وكن فيها ، غ ، وكن منها ، يا ، خ ، ص •

(٤٨) ل ، يا ، ص ، يطابق (بفتح الباء) : يطابق (بكسر الباء) ، غ •
ان كان شيء من الاشياء نافعا في ثبات النَّاسِ على العهود وذلك الشيء مثل
اللوم والعذل على ما ارتكبه من نقص الوفاء واطهار الغدر فان السيف سبق العذل
في ذلك • يعني ان هذا الامر فات وما بقي يفيد فيهم العذل شيئا ، كما ان السيف
يسبق من يعذل ويفوت الفوت في كفه بعدما يمضي • لا تطمع في عود رعيهم
للعهود كما ان المقتول لا يطمع في حياته •

يا وارداً سُورَ عَيْشٍ كُلَّهُ كَدَرٌ
 انفتت صفوك في أيامك الأول (٤٩)
 فيم اقتحامك لُجَّ البحر تركبهُ
 وأنت يكفيك منه مصّة الوشل (٥٠)
 ملكُ القنّاعة لا يُخشي عليه ولا
 يُحتاج فيه الى الانصار والخول (٥١)
 ترجو البقاء بدار لا نبات لها
 فهل سمعت بطلّ غير متقل
 ويا خيراً على الاسرار مطلقاً
 أصمتُ ففي الصمت منجاة من الزلل (٥٢)
 قد رشّحوك لأمر لو فطنت له
 فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل (٥٣)

-
- (٤٩) ع ، يا ، خ ، ص ، صفوك : عمرك ، ل ، غ ،
 وهذا البيت يسميه أرباب البلاغة التجريد ، وهو أن يجرد الانسان من
 نفسه شخصاً يخاطبه فهو يستريح بمعابته وتعنيفه وتوبيخه .
 (٥٠) غ ، يا ، خ ، ص ، فيم : في ما ، ل ، يا ، خ ، ص اقتحامك :
 اعتراضك ، غ ، ل ، أخذ يريض نفسه ويسكن سورة غضبها بعد أن كان قد ثار
 واحتدم واحتد واضطرم .
 (٥١) الخول : الحشم ، العبيد .
 ان ملوك الدنيا يحتاجون الى الخول والانصار للخدمة ، والى العساكر
 ليحفظوا البلاد ، فيضطرون الى أموال ينفقونها . ثم هم مع ذلك في هم وفكر
 في تحصيل الاموال وتدبير الرعايا في خوف وحرص .
 (٥٢) غ ، يا ، خ ، أصمت : أنصت ، ل .
 (٥٣) غ ، ص ، ان فطنت له : لو ، ل ، يا ، خ .
 رشحوك : فلان يرشح للوزارة أي يرى ويؤهل . الهمل : الابل بلا راع .
 قد ربوك واهلوك لامر ان كنت تعلم باطنه في مرادهم منك ، فاهرب منهم ولا
 تطاوعهم على ما يرومونه منك ان أردت أن لا ترعى هاملاً فتعود سدى .
 يحذر نفسه من أعاديته الذين يسعون في قهره وحساده الذين يريدون هلاكه
 ويتمنون وقوع الاذى به .

التحليل والتعليل

(١)

يفخر الطغرائي بأصالة رأيه وبفضله وبمجده •• وليس لاحد أن يكذبه في دعواه وهو الذي بلغ في عصره المنزلة المرموقة علماً وأدباً وسياسة ••

ولكن ، لم هذا الفخر ؟ وما الداعي اليه ؟ انه مشوب بشيء من الشكوى والمرارة ، لقد فقد صاحبه شيئاً عزيزاً عليه ، قد يكون أهم ما يملك ، وأكبر ما يرى في الحياة ، وفيه عزته وكبرياؤه • واذا ما أصيب المرء بمثل ذلك خف الى رصيده الاول ، يستنجده ويستعينه • وهكذا ، يكون الفخر ، تعويضاً عن الفقد ، وتعزية لنفس مضامة ، وتغطية لخيبة ، وتماسكاً أمام هذا الناس الذي ألفه على غير ما حل به وصار اليه •

ولو كان فخراً للفخر ، لما كانت هذه ال « فيم » ، « فيم الإقامة بالزوراء ؟ » ، ان فيها أسمى شديداً وعتاباً للنفس مرأ ، انه استفهام صدر عن أعماق نفس متألمة وغير راضية عن اقامتها في بغداد ، ودعوة الى الهجرة ، وتبرير لهذه الدعوة بأكثر من سبب ، فهو في موقف من يريد أن يقنع شخصا آخر ما زال مشدودا الى بغداد بشيء ، فوالى الادلة الداعية الى الهجرة • ليس للشاعر في مدينة السلام أهل أو

عدل أو مال أو صديق ، وأنه قد صار غريبا وسندبه الحنين ، ولا بد من العودة ،
رضي أم لم يرض .

وإذا تركنا المكابرة جانبا ، ونسبب مسألة الاعتراب والحنين وما الى ذلك من
الالفاظ التي هي « شعر » وتبرير أكثر من رائع ، رأينا انه لا بد من العودة اعترافا
بالواقع وخضوعا للمنطق .

لقد جاء الطغرائي ببغداد وأقام فيها من أجل شيء عزيز عليه ، سعى نحوه حينها
وطويلا ، ألا وهو « الصدارة » أو « العلى » - كما سماه . لقد قصدها فرحا وخف
اليها طربا وحسبها الجنة الفيحاء والدينا السعيدة . ولم لا ؟ وما قيمة الإقامة في
مسقط الرأس ؟ انها تورث الخمول والفقر ! واليوم يحدث ما يحدث ، فيصاب
الرجل في طماحه ، فاذا ببغداد غير بغداد أمس ، لقد أنكراها ، وتكر لها . وبغداد
هي هي ، وما للطغرائي معها عداوة خاصة ، أو كره معين ، انما ينطق تحت وطأة
ظرف قاس .

وإذا فما عليه الا أن يرجع ، أي يقتنع بالرجوع . وهذا هو القول الصحيح
•• أما الحنين فمسألة طارئة جاءت علة لتكوص عن غاية ، ودعوة لتمويه عن دعوة
أخرى ، ويقظة لأمر ثانوي كان راقدا يغفل في رقوده . والا ، فأين كان أمس هذا
الحنين ؟ لقد أمضى الرجل عمره في الاسفار والغربة والأقامات البعيدة عن « الاهل »
والوطن •• فلم يبد عليه مثل هذا الحنين الجامح !

مهما يسالغ المرء في اخفاء السبب الحقيقي ، يعجز ، حتى لو كان ذلك من
امالي العاطفة ، ويعد الى الصراحة وهي أجدى . وإذا فلا بد من الرحلة . وطبيعي
أن تكون نحو أصفهان حيث الاهل والاحبة وحيث يمكن أن ينعم بالدعة ويسكن
الى الراحة - أو الى الكيمياء ، هذا هو الطبيعي .

(٢)

وليس من الطبيعي أن يحدثنا عن أشياء ليست بذات صلة بما هو عليه من
الحالة النفسية وعزم أكيد على الهجرة .

لقد حدثنا عن رحلته ، وعن معدات رحلته ولكن على غير ما انتظرنا ، وعلى غير ما تقتضيه طبيعة الاشياء • فلقد بدأ يتحدث عن رفيقه في السفر مادحاً خلقته وخلقته بين استواء القامة والشجاعة والشدة حينا ، والرقّة حينا ••

سار هو ورفيقه في ركب ، حتى اذا أخذ منهم التعب مأخذه ، ومضى من الليل أكثره ، وغلب النوم على هذا الرفيق الذي أعده الشاعر للملمات •
وها هم أولاء يقتربون من الهدف ، والرفيق نائم أو شبه نائم ، فيهزه ، ويعاتبه ويوقظه •

ولكن ما الغاية التي دعاها الشاعر « بالنجلى »؟ أول ما يتبادر الى ذهن من استوعب المقطع الاول ، بلوغ الوطن •• أو •• اذا كان لا بد من الابتعاد عن الجوى قليلا •• العلى ، كأن يكون الشاعر قد ثاب الى نفسه فعاود الجد من أجل تحقيق مطمحه •• أما أن يكون غير هذا ، فلا •• أن يكون غيا يحمل الشاعر لان يطرق أحياء الناس الساهرين على أعراضهم ، فيندس تحت ستار الليل الى خدر « امرأة » يدعي انه يحبها ، ويدعي أكثر من ذلك ، بأنها تحبه ، وان في رضاها وتقبلها •• شفاء لما هو فيه من سقام وعلل •• أما هذا ، فلا •• وليس الظرف ظرف غزل ومغامرة هي أشبه بمغامرات امرىء القيس وعمر بن أبي ربيعة ، وحتى هذان الشعاران لم يكونا ليفعلا ما ادعاه الطغرائي لو كانا مكانه •

اذأ ، لابد من أن يكون في الامر شيء آخر ، أو أشياء اخرى هي غير ما يبدو للنناظر • فما هو ؟ وما هي ؟

ان أمر الغزل غريب في بابه ، ونشاز في مكانه • ولو جاء في مطلع القصيدة لقلنا انه ضرب من التقليد ، فقد درج شعراء العربية على افتتاح قصائدهم بالغزل • وكل ما يمكن أن يقال في هذه الحالة ، ان الشاعر خضع للتقليد أكثر مما يجب • فلقد اعتدنا - أكثر ما اعتدنا - أن يكون الغزل في مطلع قصائد المديح • أما في قصيدة تقال في الظرف الذي يعاينه الطغرائي فغير مألوف وغير مستساغ •

ولكنه لم يأت في بداية القصيدة • وهذا ما دعا الى الاهتمام والتسأل • وقد

يدعو تنصي الأسباب والاعذار الى الاغراق والاعراب • وفي سمي من هذا الوادي يلعب في ذهن المرء افتراض خلاصته ان الطغرائي لم يتغزل ، وان هذا الذي يبدو غزلا ليس من الغزل بالمرأة في شيء ، انه غزل بالمجد ، ورمز عن هذا المجد بالمرأة المنعفة الجميلة • ولا يبلغ المجد بيسر ، فلا بد من مغامرة ولا بد من سهر وأعوان •

الافتراض جميل ، ولو صح ، لكان أجل وأدخل في مسيرة القصيدة وألصق بالحالة النفسية التي يأتزم بها الشاعر ، ولكن تصديقه ليس سهلا ، فما ألف مثله في شعر الطغرائي وشعر عصره وجملة الشعر العربي • ثم ان الشاعر حين جرى في غزله انفصل انفصالا تاما عن الحالة التي كان عليها ، ولم يدع ما يشير الى مجده وطماحه من حرارة أو ابداع^(١) • ولم يبق الا غزل تقليدي لا فضل لصاحبه أكثر من التمكن في البناء الخرجي • ولقد بعد عهد أبي اسماعيل بالغزل الصادق فقد نيف على الخمسين وتزوج أكثر من مرة ورزق أكثر من ولد - ولات حين غزل • واذا ، فما عليه الا أن يعمل فكره في جمع عناصر متفرقة من هنا وهناك مما ذاع في الشعر العربي في المرأة والجمال والسرى • • ومما قام منذ قام امرؤ القيس (وقبله) - وشتان •

بقي أمامنا مجال آخر ، أن يكون هذا المقطع الغزلي دخيلا على القصيدة ، وقد دسه الشاعر متأخرا عن الطرف الذي نظمها فيه ، في احدى قراءاته ومراجعاته • انا اليوم نفضل أن تكون اللامية مجردة من مقطعها الغزلي • ولم يكن تفضيلنا هذا قائما على الاقتراح وعلى الدراسة الداخلية لها فقط • فلقد رويت مرة كما نريد ، رواها ثقة هو أبو الفتح عبدالرحمن بن أحمد بن الاخوة عن الشاعر نفسه ، وقبل أن يكون للشاعر ديوان^(٢) •

(١) لا يخلو من فائدة ان نذكر ما جاء في « أعيان الشيعة » للعاملي ٧٩:٢٧ « • • • وفي « الرياض » • • • كان (الطغرائي) مشهورا بمعرفة الكيمياء • • • ولاشتهاره بعلم الكيمياء قبل عن لاميته • • • انها رمز الى علم الكيمياء • وهو خيال فاسد • »

(٢) ينظر ابن جماعة في التعليقة و٧٤ب •

أجل ، فما أنسب أن تنتقل من المقطع الاول الى الثالث . . من :

والدهر يعكس آمالي ويُقنني من الغنمة بعد الجد بالقفل
 ر : حب السلامة يتي همَّ صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل

وكان المقطع الغزلي لم يكن • وهنا تقول ، ومن حقا أن تقول وتعرض
 هذا الفرق « الهائل » بين المقطعين : مقطع ينتهي باليأس والاستسلام ، ومقطع يدعو
 الى المعالي والعلو والعمل وتحمل المشاق وقطع اليد ومواصلة الاسفار . .

وطبعي ان هذه الاسفار غير الاسفار التي دعا اليها في مقطعه الاول مما
 يصل بالهجرة واللياذ بالسكينة في ربوع الوطن . . انها أسفار جديدة ، انها
 ستناف العمل والسعي ، واستئناف الطمع والطماح . .

إذا ، لقد اتضح الفرق وبانت الهوة ، وأين الاستسلام من المقاومة غير
 نائية ! والحق معك ، لانك تزن الامور بالميزان المنطقي ، بمنطق العقل ، والعقل
 أنوان - ان شئت • وإذا ، فالفرق هائل ، وسياق المنطق يدل على أن الرجل ،
 بعد أن يشر الهجرة وحببها الى نفسه ونفذهها - هذا ما يقوله المنطق العقلي •
 ولكن المنطق النفسي لا يشترط ذلك ، وانه يجيز ما وقع فيه الطغرائي بل يؤيده ،
 فان هذا الذي بدا تناقضا واضطرابا هو أدل على صدق الشاعر وعلى اعراجه عن
 حالة حادة يعانها ، فما يكاد ينتهي الى شيء حتى يثور ويحطم ما بنى ليشيد خطة
 جديدة لا ينفك يجمع لها الادلة والبراهين •

فهو هنا يدعو الى العمل والى المخاطرة والى قطع اليد ، ويهجن حب السلامة
 الذي يحول دون المعالي ويغري صاحبه بالكسل ويورثه المذلة والمسكنة - وكأنه
 شاعر آخر غير الذي رأيناه في مطلع القصيدة •

وهو صادق في دعواه ، مطمئن اليها يزجها بكل تأكيد وبغير قليل من النضج
 والحدة • ولا غرو فهو في شدة وازاء نفس عنود •

ولكنه مهما يجمع الأدلة ، ومهما يستجد بعقله الواعي لا يستطيع أن يقنع نفسه ، أو قل ، لا يستطيع أن يصد الالم الطاعني ويدفع الاسى المسيطر . فأين هو من المعالي ؟ ومن العز ! ومن « فادراً بها » ؟ وواقعه مر ، وحاله يشعر بالخيبة . وإذا صعب عليه تحليل الأشياء بما يليق برجل رصين ، انحدر به الضعف الى « الحظ » وكأنه كل شيء ، فهو الذي يأخذ ، وهو الذي يعطي ، فراح يدعوه ويعاتبه ويناقشه - وهيئات .

ولحظة من لمحات العقل تريبه استحالة ما هو فيه ، وغرور ما هو عليه ، انها أعاليل بأباطيل ، لا تحل مشكلا - وان خفنت وطأ .

فأين هو ؟ وكيف ينسجم وعصره ؟ انه صعب المراس ، شديد الثقة بنفسه ، معتد بقيمته ، مترفع عن الدنيايا . انه لم يرض عن أيام كان فيها معززا مكرما ، فكيف يرضى الآن ، مهما يكن أمره ؟ كيف . . ؟ والدولة دولة أوغاد ، والحكم حكم جهال ، وقد علاه من كان دونه بأشواط . كيف يرضى ؟ ذلك بعيد .

لم يكن كاذبا اذ وصف السلطة عام ٥٠٥ بما وصفها ، فذلك مما يؤيده التاريخ . ولكننا نسأله : أين كنت قبل اليوم ؟ انه لم يجد قبل اليوم ما يدعوه لمثل هذه التصريحات ، ولم يكن على الحالة التي تريبه حكام عصره على الشكل الحقير والاحقر . كان سجين مطامحه ورهين أمانيه ، كان في طريقه الصاعد لا ينظر يمنا أو يسرة . أما وقد حيل بينه وبين القمة ، فكل شيء واضح ازاءه على حقيقته وعلى أحسن من حقيقته ، وان له من الوقت ما يستطيع معه أن يتبين ويتفحص ويتأمل ويحكم .

بل انه ازاء نفسه وجها لوجه ، هذه النفس التي غررت به وأوقعته في مهاوي الآمال البعيدة وفي « تمنى فسحة الاجل » . انه يعاتبها ويقول لها : ستأهلين ، ذوقني . ولكنه لا يستمر طويلا ، لانه رجل لا ينسى ذاته ضويلا ، وله في مجده الماضي أعظم مظهر للتعزية والسلوان ، فهو الشمس وسواه زحل . . . واذا انحط

فهو الشمس على أي حال • ومثله لا ييأس ، وما عليه الا أن يصبر ، فاذا ضاقت به الوسائل فليكف عنها ، وليصبر وليتظفر المصادفات و « حادث الدهر » •

من الصعب على امرئ عرف بالطغرائي ورأى ما رأى الطغرائي أن يستسلم يسر ، ومن دون ثورة نفس وتضارب أفكار وتصادم هواجس وضرب أخماس بأسداس وكبرياء وتعاطم وسخط على الدهر والحظ •

(٦-٥)

كل هذه « عموميات » يرسلها الطغرائي دون تخصيص لانه تحت مجموع الكارثة ، لا يراها مجزأة ولا يحدها بسبب واحد ، انه يتخبط لان الضربة شديدة •• حتى اذا اتضحت الامور قليلا ، قارب التخصيص فصاح :

أعدى عدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل

واذاً ، فمن مأمنه أتي الطغرائي واذا أصدقاؤه ألد أعدائه ، لقد أوقعوا به ، وأنزلوه من مجده • ولم يزو على ذلك في التصريح ، كأنه يرى نفسه أكبر من أن تنزل الى مثل هذا الدرك أو كأن المسألة أكبر من ذلك^(١) • فلقد ضاقت الدنيا على أشد ما يمكن أن يكون عليه من ضيق ، وانه لم يعد حتى ذلك الطغرائي الذي يكابر وهو في منزلة ذلة ، ويفخر وهو نبي موطن عزاء ، ويأمل وهو في ميدان يأس •

أجل ، لقد ضاقت وانتهى عالم •• وبدأ عالم أسود ، كل ما فيه يدعو الى التشاؤم بحرارة وحماسة و « صدق » • أهل هذا العالم قوم أعداء ، شيمتهم الغدر ، كذابون ، لا يمكن أن يعيش بينهم امرؤ حسن النية يثق بالآخرين ، صادق ، اذا قال فعل •• انه لعالم حالك وحقير ، ومؤلم أن يكون عالم الانسان •

لقد رأى الطغرائي عالم عصره خلال تجربته الخاصة ، ولكنه ما زال يوسع

(١) ومما يذكر انه كان في البائية أكثر تفصيلا •

الخاص ويوسعه حتى جعله عاما • وله في حقيقة السوء الذي كان عليه العصر مساند ، وهكذا يكون قد قدم لنا صورة لزمانه ، ويكون قد استوعب المجتمع الذي احتواه •

وإذا كان العالم كذلك ، والناس كذلك ، أصبحت النتيجة الحتمية واضحة ، وهي نفسها التي انحدر إليها الطغرائي - بعد تردد وممانعة - ألا وهي اليأس أو القناعة - ان شئت •

ولكن نفسا يحملها الطغرائي « لا تتنع » من غير أن تتعب صاحبها ، انها على الرغم مما قاست وعانت ومما انتهت اليه ، ما زالت تنطوي على بقية من طمّاح وشرارات من أمل •• مما استوجب الحجاج وزيادة الأدلة والبراهين : فالعيش كدر ، ومصة الوشل تغني عن البحر ، وملك القناعة لا يخشى عليه ، والدنيا فانية ، والصمت منجاة •• الخ •

ترى هل قنع ؟ يبدو • ولكن ذلك صعب على مثله • ان الأدلة التي ساقها تقنع غيره وترضي سواه ، أما هو فإذا رضي فإلى حين وإذا صمت فعلى مضض وإذا يئس فعلى أمل •

اللامية عبر التاريخ

(١)

هذه اللامية اذاً سجل لأطوار قلب نائر ونفس طعين ، عبرت عما يكتنف الشاعر من طماح وقناعة وأمل وألم واقامة وهجر وحب وكره . ان العواطف لتجري حارة في عروق القصيدة ، عميقة ، غنية ، صادقة ، أصيلة ، بلغة سليمة هي لغة الشاعر العربي المتمكن الكبير .

كل ذلك من غير افتعال وكذب وضجيج مختلق وقرقرة متكلفة ، ولو لم تكن كذلك لما كان لها شأن يذكر حتى اليوم ، ولذهبت مذهب عشرات القصائد التي قامت شهرتها على الزيف وفساد الاذواق والظرف الآني .

لقد أولع عدد من الدارسين برد معاني اللامية الى أصولها ، أو بمعنى أدق رد معنى أبياتها الى أبيات شعراء سبقوا الطغرائي ، كأنهم يريدون أن يقولوا ان الطغرائي أشار اليهم أو أخذ عنهم أو سرق منهم .

ومحاولة رد أبيات الطغرائي الى غيره من أمثال المتبي والشريف الرضي والمعري ليست مستحيلة ، أو مطلقة في العبث . وقد عمل ذلك الصفدي بحسن

نية^(١) ، ولعل الذي بعثه سعة علمه وغزارة محفوظه^(٢) وتطبيق لخطة يجعل بها شرحه للامية كتابا أوسع من « شرح » . ثم ان مبدأ « الرد » مألوف في الدراسات الادبية القديمة ، وظل حيا عبر أجيال حتى انتهى - فيما رأينا - الى استاذنا المرحوم طه الراوي ، فلقد كتب مقالات يرد فيها اللامية الى غير صاحبها مستعينا بالطريق الذي مهده الصفدي وبالامثلة التي أوردها . ولكنه تميز عن الصفدي بالشدّة في الحساب والعنف بالهجة . وأكبر الظن انه كان كذلك بسبب ما كان معلوما من أن الطغرائي فارسي عجمي^(٣) .

وعلى أي حال فلقد انتهى المرحوم الراوي الى « أن الرجل أثار على المعاني الرائعة لمعاصريه ومن قبلهم فاعتصر منها خلاصاتها ، ثم صبغها بالالوان البراقة الجذابة ، وأبرزها للناس على انها نتاج قريحته ، ووليدة براعته ، فأقنن الناس ببريق تلك الالوان ، ونسوا ما وراءها من سبائيا المعاني البارة التي لو أطلقناها من عقال الوزن والقافية لرجع كل الى أصله واعتز باتسابه لاهله ، ونحن لا نريد أن ننكر على الرجل انه من بدعة الصاعقة ، ومهرة المصورين ولكننا لا نشك في أنه أقدر الناس على الانتفاع بتناج غيره موهما انه من نتاج فكره »^(٤) .

ومن يقرأ الصفدي وما ربطه بين أبيات الطغرائي وأبيات سابقة (ولاحقة) يحس بأن في هذا المذهب كثيرا من الجهد الضائع والتعسف ، ولكنه لون عقلي يحقق لصاحبه البراعة أمام الناس ثم ان بعض الروابط لا تخلو من طرافة وصحة حتى ان القارئ ليقنع بصحة علم الطغرائي أو قصده في الاخذ أحيانا . ولم يد أن الصفدي كان يقصد الى التشفي أو الى الحط من شأن الطغرائي ولا أن يمهد للحط من هذا الشأن . ذلك أن شيئا من الربط بين معنى بيت أو أبيات لشاعر كبير مع بيت أو أبيات لشاعر سابق مأثوف في الشعر العربي ، وقد أطال الباحثون درس

(١) الصفدي ، الغيث . . .

(٢) السبكي ٦: ٩٤ ، العسقلاني ٢: ٨٧ .

(٣) الراوي ، الصبيح . وزاد ولده الاديب حارث ان المرحوم والده كان

يحب بغداد حبا جما ، وربما كان لموقف الطغرائي منها أثره في ذلك .

(٤) نفسه ٤: ٦ .

هذه الظاهرة وكانت لهم - والآمدى^(٥) في مقدمتهم - آراء صائبة في الانصاف وفي التمييز بين ما كان سلقا أو سرقا أو أخذا وبين ما كان تجميلا وتأثرا غير مقصود .
 حقا ان بين أبيات اللامية ما يتصل بالبيت الفلاني والفلاني من شعراء سبقوا ، ولكن هذا الاتصال لو كان أخذا وسرقا لما كان للامية شأن كبير ، مهما أوتي صاحبها من مهارة وقدرة على السبك والرصف والصيغة . ان شعر التمكن لا يدوم طويلا ، ولا ينطوي على قوة وعنف مما تنطوي عليه الآثار الاصيلة . وانه - أي شعر التمكن انما يضطر اليه الشاعر عندما يتكلف المواقف ويقصد من شعره الى المسابقة الشكلية ، وعندما يقول وهو هادىء النفس غير منفعل وفي موقف لا يمت اليه بسبب قوي . ولم يكن الطغرائي كذلك ، لقد كان متمكنا - دون شك ، وبارعا دون ريب - ولكنه كان منفعلا ، وكان يتحدث بعمق وصدق عن أوصل الاشياء بكيانه - ولات حين سرقة وتفكير بالسرقه .

ولنبداً بالبداية . قال الطغرائي :

أصالةُ الرأي صانتي عن الخطل وحلية الفضل زانتي لدى العطل

فعبّر بذلك عن القمة النفسية التي كان عليها والتي دعته الى قول الشعر بعد امتلاء نفسه بالكارثة التي حلت به ولم يجد ما يقوي به وجوده غير الرصيد القديم وغير الاستعلاء عن صفائر أمور الدنيا ؛ الحالة حالته ، ولقد عبر عنها كما يجب وكما يشاء . أما الالفاظ فهي ألفاظ العربية وليس لاحد أن يقول ان (اصالة) هي لفظة فلان و (الخطل) لفظة فلان و (العطل) لفظة فلان . انها لو كانت كذلك لما جاءت على هذه القوة .

ويأتي الصفدي^(٦) فيشرح ويعرب ويفسر ثم يقول : قال الشريف الرضي :

ان يبل ثوبي فاني أكنسي حسي أو ترد خيلتي فاني راكب منتي
 لقد تقدم بي فضلي بلا قدم أعظم بأمر على ذي السن قدمني^(٧)

(٥) الآمدى : الموازنة بين الطائنين . .

(٦) الصفدي : ١ : ٥٠٠ .

(٧) ينظر الديوان ١ : ٥٤٣ .

ويذكر بعد ذلك أبيتا لشعراء آخرين لا قيمة لها وبينها ما هو لشعراء متأخرين عن الطغرائي ولا يربطها الا بما يتوهم ، وما يمكن أن يكون من قرابة في المعنى العام . ذلك منهجه . ولكن ماذا يعني ذكر بيتي الشريف الرضي ؟ يعني الشبه في الحالة التي عبر عنها الشاعران والتي دعتهما لان يفخرا ، ويفخرا بفضلهما غير مباليين بهرج الدنيا من ثياب وزينة . وليكن . وحسنا فعل الصفدي اذ لم يقل ان فلانا أخذ أو سرق من فلان ، ولم يقل ان بيت فلان خير من بيت فلان . وان « الشريف لم يكنف باكتساء ثوب الحسب ، حتى ركب خيل الكرم . والطغرائي لم يزد على أن وضع الحلية موضع الثوب واني لعلى ثقة بأن الذوق السليم يستحلي كلمة الشريف ويفضل ثوبه على حلية الطغرائي لان الرجال خليقون بأن يتجملوا بالثياب ، أما الحلية فمن خصائص ربات الحجاب^(٨) . » ان هذا ما لم يمر من الطغرائي ببال ، وما لا يمر ، ، ولا ينسجم والحالة التي هو عليها ، وما كان موقفه موقف حلية « نساء » ، انما كان جلال رجال ، وكان حلية فضل ان أردنا الصراحة . ولم يكن بين كلمتي الفضل والحلية فاصل .

وقال الطغرائي :

مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع
والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل

وهو تمة طبيعية لسابقه وتجسيد للأزمة التي وقع فيها الشاعر ، ولم تحل (رآد) و (طفل) دون فهم البيت ، ولم تكن الكلمتان من الغرابة والثقل بحيث يكدران الصياغة :

ويقول الصفدي : « وقد أخذ الطغرائي هذا المعنى من قول أبي العلاء المعري حيث قال :

وافقتهم في اختلاف من زمانكم والبدر في الوهن مثل البدر في السحر
فهذا هذا ، خلا ان ذاك في الشمس وهذا في القمر ، ولكن قول المعري

(٨) الراوي ، ٢:٦ .

أُظف عبارة وأحسن اشارة لأن الطغرائي أعرب في لفظتي رَأد والطفل وعذوبة
الالفاظ أمر مهم في البلاغة^(٩) . . . »

ان القرابة بين الشطر الثاني للبيتين قائمة ، ولكن هل كان بيت المعري
حاضرا في ذهن الطغرائي وهو ينظم ما يعانني ويكابد ؟ لقد سمح الصفدي لنفسه
أن يجزم بالاخذ . وقد يكون له ما يرر ، لكن ما باله يقول ان بيت المعري أظف
اشارة ، ويقول ان الطغرائي أعرب . . . ليس من حقنا أن نتخذ من الغرابة والسهولة
سلاحا ذا حدين . ولو سمحت لنفسني بمثل ما سمح به الصفدي لفضلت بيت
الطغرائي ، ولكن لا داعي لذلك .
وقال الطغرائي :

فيم الإقامة بالزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
وهو منسجم تمام الانسجام مع سابقه ، بل انه المعنى الطبيعي الذي جراه
اليه ، وسبقا لتقديمه . فماذا قال الصفدي ؟ قال : « . . . انظر الى قلقه في بيت
الطغرائي لانه عطف الذقة والجمال على السكن ، ولو عطف ما يناسب ذلك من
أهل وولد لكان أحسن وأوقع في النفس^(١٠) » ، هكذا فهم الصفدي ، لانه من قوم
يقيمون تقدمهم على المعاني القاموسية واللفظة ومعناها ، فرأى في البيت سكناً وناقاة
وجملا ، فرأى قلقا ، أما نحن فنرى ما رآه الطغرائي : سكناً ومالاً ، ذلك ان
« لا ناقتي فيها ولا جملي » تعني المال ، وتستطيع أن تقولها - كما هو الشأن في
الامثال وأبواب التجوز - في مواقف لا صلة للناقاة والجمال فيها . كما هو في بيت
الطغرائي وكما هو في الحال التي كان يحس بها^(١١) .
وقال الطغرائي :

ناءٍ عن الاهل صفر الكف منفرد^١ كالسيف عرِّيَ متناه عن الخليل

(٩) الصفدي ١: ٥٢ .

(١٠) الصفدي ١: ٧١ .

(١١) ذكر الميداني ٢: ١٤٤ . ط بولاق ١٢٨٤ : « يضرب المثل عند التبري

من الظلم والاساءة » .

وقال الصفدي : « وما أحسن ما كشف المعري هذا المعنى بقوله :

وان كان في لبس الفتى شرف له فما السيف الا غمده والحمائل

وقال البحري يعزي بولد :

تعزّ فان السيف يمضي وان وهت حمائله عنه وخلاه قائمه

وقال النمر بن تولب :

فان تك أثوابي تمزقن عن فتى فاني كصل السيف في خلق الغمد

وقال لبيد بن ربيعة :

فأصبحت مثل السيف أخلق غمده تقادم عهد القين والنصل قاطع^(١٢)

وليس لاحد أن يجروا فيقول ان الطغرائي سرق معناه من سابقه ، بل اننا
لنسائل عن سر ذكر هذه الايات التي ورد فيها « السيف » •• ان ذلك ما يمكن
أن يخيّل الى القارىء ان الطغرائي يسرق - وصدق الراوي اذ قال « ان هذا المعنى
ملقى على مدرجة السابله »^(١٣) •

اننا لو أردنا أن تتبع مذهب الصفدي وتابعيه أطلنا وأتبعنا دون نتيجة • وما
يمكن أن يقال في أبيات لامية الطغرائي يمكن أن يقال في كل قصيدة مناظرة •
ومع هذا ، لنقف عند البيت :

وضج من لعب نضوي وعج لما ألقى ركابي ولج الركب في عدلي

فقد قال الصفدي : « في قوله وضج من لعب نضوي غنية عما يقول فيما
بعده : وعج لما ألقى ركابي ، لان المعنى واحد ، فكل منهما يعني عن ذكر الآخر ،
فان ضجيج الزوق هو عج الركاب^(١٤) » •• وقد أخذ بيت الشريف الرضي برمته

(١٢) الصفدي ١: ٨١ •

(١٣) الراوي ٦: ٣ •

(١٤) الصفدي ١: ١١٢ •

من قوله :

•• ووقفت حتى ضجج من لغب نضوي ولج بعذلي الركب (١٥)

أما أن يكون الطغرائي قد أخذ بيته من بيت الشريف الرضي فذلك ما لا يحتاج الى نص ، ولا الى ضجيج وانه ما لم يرد الشاعر اخفاءه بعد أن أخذه بنصه • ولتذكر ان الطغرائي الآن في « مقطع الغزل التقليدي » من اللامية • واذأ فلسنا بصدد الاصاله والحاله النفسية ، انما هي صناعة وبراعة في الصياغة • والحقيقة ان الصفدي بالغ عندما أخذ الطغرائي على : « وعيج لما •• » كأنه يريد أن ينفي من طرائق اللغة العربية الازدواج وما يشبهه ، وكأنه يجهل الايقاع الموسيقي الذي ولد من توالي ضجج وعيج ولج ••

كما ان من يقول :

تقدمتني اناس كان شوطهم وراء خطوي اذ أمشي على مهل
لا يضمر اخفاء المصدر الذي أخذ منه ، فما كان الشريف الرضي نكرة ، وقد قال :

فلم أنا كالغريب وراء قوم لو اختيروا لقد كانوا ورائي (١٦)

ولكن الحالة واحدة ، وجاء بيت الطغرائي منسجما كل الانسجام مع ما قبله وما بعده ، وقد يكون أمتن وأعنف من بيت الشريف الرضي ، الا أن الصفدي لم يذكره ، ولم يشر إليه •

وبعد

فمن الظلم أن نجرد اللامية من كل معنى أصيل ، وأن نتهم صاحبها بأنه استل معانيه من غيره الماما وسرقة وسلخا • فنحن لا نشك أن الطغرائي حفظ كثيرا واعجب بروائع الشعر العربي وبالشريف الرضي ، وانه اختزن ما حفظ ، وتسرب

(١٥) نفسه ١: ١١٦ •

(١٦) ديوان الشريف الرضي ١: ١٧ •

سُخِغَ مِنْهُ إِلَى أَشْعَارِهِ ، وَلَكِنَّ اللَّامِيَّةَ جَاءَتْ أُصْحَبَةً أَعْرَبَتْ عَنْ حَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي عَانَاهَا هُوَ مِنْ دُونِ تَلَكُّؤِهِ وَمِنْ دُونِ مَا بَشَّرَ إِلَى أَنَّهُ كَانَتْ يَعْمَدُ إِلَى التَّقْلِيدِ وَالْمَعَارِضَةِ وَالْإِخْذِ ، فَلَقَدْ كَانَ مِنَ السَّيْطَرَةِ بِحَيْثُ أَعْرَبَ صَوَاعِيغَ وَجَرَى هَدَارًا • وَإِذَا مَا وَرَدَ عَلَى لِسَانِهِ - وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ - لَفِظَ أَوْ مَعْنَى أَوْ تَرَكِيبَ لِآخِرِينَ فَذَلِكَ مِمَّا أَمَلَتْهُ الْحَالَةُ الْمَشَابِهَةُ وَمِمَّا أَنْسَابَ أَنْسَابًا ، وَمِمَّا يَدْخُلُ بَعْضُهُ فِي بَابِ التَّضْمِينِ • وَمَا كَانَ الطُّغْرَائِيُّ مِنَ الْغَبَاءِ بِحَيْثُ يَجْهَلُ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَعْرِيَّ قَالَ :

وَإِنِّي جَوَادٌ لَمْ يَحِلَّ لِجَامِهِ وَعَضْبٌ يِمَانٌ أَغْفَلَتْهُ الصِّيَاقِلُ
وَإِنَّ امْرَأَةَ الْقَيْسِ قَالَ :

وَقَدْ طُوِّفَتْ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيَتْ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْأَيَابِ

(٢)

وَمَا قِيلَ فِي الْمَعْنِيِّ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ فِي وَجْهِهِ الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ ، وَإِنَّكَ لَوَاجِدٌ فِي اللَّامِيَّةِ كَثِيرًا مِنْهَا : الطَّبَاقُ ، الْمَقَابِلَةُ ، الْجِنَاسُ ، التَّقْسِيمُ ، الِاسْتِعَارَةُ الْمَكْنِيَّةُ •• مَا لَا دَاعِيَ إِلَى النَّصِّ عَلَيْهِ •

وَلَا نَشْكُ أَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ يَرْغَبُ فِي أَنْ يَحْلِيَ نَظْمَهُ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ ، وَإِنْ عَصَرَهُ كَانَ يَرْتَاحُ إِلَيْهَا وَيَطْلُبُهَا •

وَلَكِنَّمَا جَاءَتْ فِي اللَّامِيَّةِ مَقْبُولَةٌ وَغَيْرُ مَسْتَقَلَّةٍ أَوْ قَلَّ أَنْهَا جَاءَتْ سَهْلَةً عَلَى لِسَانِ مَعُودٍ وَمِنْ قَرِيحَةٍ ثَرَّةٍ وَفِي حَالَاتٍ نَفْسِيَّةٍ تَمْنَحُ الصَّنَاعَةَ طَبَعًا ، وَالْعِظَامَ لِحْمًا فَتَسْجَمُ فِيهَا الْعُنَاصِرُ الْمُخْتَلِفَةُ وَتَهْبِهُ قُوَّةَ وَحْيَاةٍ •

وَلَا تَنْسُ أَنَّ الشَّاعِرَ صَنَاعٌ مَاهِرٌ مَضَتْ عَلَيْهِ - قَبْلَ اللَّامِيَّةِ - أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَهُوَ يَحُوكُ وَيَنْسِجُ وَيَهْيِيءُ آلَاتِهِ •

وَكَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ يَبْدُوَ أَثَرُ الصَّنَاعَةِ عَلَى أُبْرُزِ مَا يُمْكِنُ فِي مَقْطَعِ الْغَزْلِ التَّقْلِيدِيِّ حَيْثُ تَخْفُفُ الْحَدَّةُ وَيَضْعَفُ النَّفْسُ وَيَكُونُ لِلْمُؤَلِّفِ مَتَسَعٌ مِنَ الْوَقْتِ يَبْذُلُهُ فِي

التسيق ، وثروة من التراث يستغلها في البناء •

ولغة اللامية من أفصح ما يكون لفظا ، وأفخمه تركيبا • انها لغة امرىء أخذ اللغة عن أصولها وتبحر في مظانها ونصوصها ومرن نفسه عليها حتى طوعها لقلمه ولسانه واستوت لديه اللفظة السهلة والصعبة والقريبة والبعيدة وانه ليركبها وكأنه لا يفتن الى مواضع الغرابة في الاداة •

ان عددا لا بأس به من المفردات يبدو غريبا علينا وعلى أسلافنا • والا ، لما سودت الصحف في شرح اللامية وبيان معانيها • هذا صحيح ، وأصح منه انك حين تقرأ القصيدة لا تواجه هذه الغرابة ، انما الذي تنساق فيه هو الجو - وحسب الشاعر الفحل أن يخلق جوا ، حتى اذا رحت تحلل القصيدة بيتا بيتا والبيت كلمة كلمة رأيت صعوبة المواد التي كونت هذا البناء الشاهق • وهذا طبيعي ، لان القصيدة أصيلة وصادقة أعرب فيها الشاعر عما عانى وقد أصيب في صميم وجوده •

ويتميز المقطع الغزلي بأوفر حظ من المفردات الغريبة ، وهذا طبيعي أيضا ، لانه تقليد وصناعة وبراعة •

(٣)

أول ما يفهم من قصيدة تسمى « لامية العجم » ان صاحبها عجمي ، أو انها تمجد العجم وتسجل مفاخرهم عبر التاريخ ومثلهم العليا التي يتميزون بها عن سائر الامم ، وانها تحمل طابعا من الشعبوية وتفضيل الفرس على العرب ، أو انها تحفظ - في الأقل - معالم أخلاقهم وسمات معاشهم • وألا تكون فردية يتحدث فيها شخص بعينه عن حادثة خاصة به اكتنفته خلال فترة معينة •

فماذا في اللامية من هذه الامور ؟ ليس فيها شيء • فليس الطغرائي شاعرا عجميا • هذا أمر أصبح مفروغا منه^(١) ، فلقد نسبته مصادر مهمة لأبي الاسود

(١) أعلاه . الفصل الاول •

الدؤلي^(٢) وأبو الأسود عربي وبنو دئل من كنانة من عدنان^(٣) . أما أن يلقب أحيانا بالاصبهاني وانه من مواليه هذه المدينة وفي اسرة تقطنها ، فليس لذلك من دلالة كبيرة ، فلطالما سكنت هذه المدينة أسر عربية منذ دخلها العرب مبكرا في العصور الاسلامية ، وطالما حمل المشاهير نسبا الى مساقط رؤوسهم . وقد كان أبو الفرج - صاحب الاغانى - أصبهانيا قبل الطغرائي ، والعماد - صاحب خريدة القصر - أصبهانيا بعده ، وكلاهما عربي دون شك . أضيف الى أن ليس في شعر الطغرائي ولا في الاحاديث عنه ما يدل على فارسيته . ولم نجد النص على أنه عجمي فارسي الاصل الا لدى مؤلفين متأخرين مثل هيوار ، ونيكلسن ، والزيات ، محمود مصطفى ، وحنّا فاخوري^(٤) . . .

وليس لهذا أية دلالة ، فهم متأخرون جدا ، ولم يتسع لهم الوقت للتجرد في التحقيق وانهم تأثروا بنسبة « الاصبهاني » وبـ « لامية العجم » .

ثم انك تقرأ اللامية فلا تجد فيها داعيا لربطها بأمة من الامم ، فلا هي للعرب ولا هي للعجم ولا هي لغيرهم ، انها لا تتحدث عن العجم ولا الى العجم بقليل أو كثير ، لا مدحا ولا ذما . ولا يمكن أن تكون مصدرا في دراستهم .

بل انها - اذا كان ولا بد - أصلح أن تكون مصدرا عن أخلاق العرب ومعاشهم^(٥) ، ولا يقصد بذلك أن تكون صفحة من تاريخ بغداد في مطلع القرن السادس ، انما يقصد انها ، في المقطع الغزلي ، تبين صورا من أخلاق العربي

(٢) نقله علي رضائي عن العماد ، وأكده أبو الفدا ١ : ٢٤٧ ، ابن الوردي ٢ : ٣١ ، البارزي في مختصره لوفيات الاعيان ، وينظر سبط ابن الجوزي وابن جماعة .

(٣) الفلقشندي ص ٥٤ (وينظر الفروز في المحيط) . وقد يرد الطغرائي على : (الليثي) كما في مخطوطة لندن ٧٥٣٠ ، وابن جماعة بسند عن السمعاني ١٧٥ ، وفي البداية والنهاية ١٢ : ١٩٠ . وليث بطن من بكر من كنانة كما في الفلقشندي .

(٤) في كتبهم عن تاريخ الادب العربي . وفي اعجام الاعلام لمحمود مصطفى .

(٥) ينظر الراوي ٤ : ٥ .

والعربية في البادية بين الشجاعة والكرم والحب والكره والاسرار والكلل ، سجلتها
باعجاب وتقدير بعد مر قرون •

إذاً ، كيف أصبحت لامية العجم ؟ لا أدري ! فالمؤلف لم يسمها كذلك حين
نظمها وحين رواها ، وحين رويت عنه • ثم كان الديوان الذي جمعه الشاعر نفسه
ولم نجد على رأس القصيدة أكثر من « قال في مدينة السلام عام ٥٠٥ » •
وتحدث العماد الاصبهاني^(٦) - وهو معاصر - ولخص حديثه على رضائي^(٧) ،
ولم يقرنه أو يقرنها بالعجم وإنما اكتفى بأن قال « نبدأ بلاميته » •

ولعل أول تسمية لها بلامية العجم نراها في « ارشاد الاريب » لياقوت الحموي
المتوفى عام ٦٢٦ أي بعد تأليف اللامية بمئة وعشرين سنة • وقد قال : « ومن شعر
مؤيد الدين الطغرائي قصيدته التي تداولها الرواة وتناقلتها الالسن المعروفة بلامية
العجم^(٨) » • ومن الممكن أن تكون الالسن التي تناقلتها حملتها هذه التسمية •
ثم يأتي ابن خلكان فيقول شيئاً يشبه ما قاله ياقوت : « المعروفة بلامية العجم^(٩) » •

حتى اذا جاء الصفدي أتى عليها التناء العاطر وخصها بشرح مسهب سماه
« الغيث المسجم في شرح لامية العجم » بل أكد وعلل : « وأما هذه القصيدة اللامية
فانما سميت لامية العجم تشبيها بلامية العرب لانها تضاهيها في حكمها وأمثالها •
ولامية العرب هي التي قالها الشنفرى ، وأولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأميل

•• وحسبك ان الناس قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم في نظير تلك
بمعنى ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم
لامية مثلها تناظرها ، ، وازافة الشيء الى شيء مشهور أو أعظم تدل على شرف

(٦) الخريدة ، قسم بلاد العجم •

(٧) علي رضائي ، عود الشباب •• وقريب من هذا ما رواه الحسامي في
مختصره لابن النجار فقال : « وهو صاحب القصيدة الغراء التي أولها اصالة
الرأي •• » و٣٥ ب •

(٨) ياقوت ١٠:٥٩-٦٠ (الحسين ••)

(٩) ابن خلكان ١:٢٨٤ (الحسين ••)

وفتح الصفدي بأقواله هذه أبوابا لا داعي لفتحها ، وقد ظلت مفتوحة مدى قرون^(١١) . فلقد جرّ شرحه - كما سنرى - سلسلة من الشروح تلخيصا وردا ، محتفظة - في الغالب - بنسبتها الى العجم ومقارنتها بلامية العرب . ونقل العملي عن الرياض : « ومن مشهور شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم لأن ناظمها عجمي أصبهاني .. وذلك في مقابلة لامية العرب .. »^(١٢) ، وأبدل حنا فاخوري بـ «مقابلة» « تمييزا لها عن »^(١٣) ، وجر ربط لامية الطغرائي بلامية العرب الاب لويس شيخو ٦ : ٢٠٤ - الى أن يضعها في سلسلة الشعر القديم الذي يقصد به الجاهلي ، فقد جاء الشنفرى - في كتابه - بعد عنتره وجاء الطغرائي بعد الشنفرى . بل ان المرحوم الراوي « فرض ان الذي سماها لامية العجم هو الطغرائي نفسه » . و « ناقشه الحساب على هذه التسمية » وانطلق في المناقشة من مقارنتها بلامية العرب فقال : « هل فكر الطغرائي عند معارضته لتلك القصيدة أن يرسم لنا في قصيدته صورا صادقة من أخلاق العجم ومطاوي نفسياتهم وكيفية معاشهم في حواضرهم وأريافهم ؟ »^(١٤) .

أجل ، لقد فتح الصفدي أبوابا ظلت مفتوحة ، وما كان لها أن تبقى كذلك . فلم يسم الطغرائي قصيدته بلامية العجم ، ولم يدر بخلده أن يعارض لامية العرب ، ولم يشهد المقابلة بين « اللاميتين » ، والحقيقة - ولما أبان المرحوم الراوي^(١٥) - ليس هناك أي مجال للمقابلة بين اللاميتين ، وليس هناك أي داع . انه لمن السخف

(١٠) الصفدي ١ : ١٣ .

(١١) طاشكيري زاده ١ : ١٨٩ (علم الدواوين) .

(١٢) العملي ٢٧ : ٧٩ .

(١٣) الفاخوري ، ٧٢٠ .

(١٤) الراوي ٥ : ٤-٥ . وحمل الاعتقاد بفارسية الطغرائي الكنعاني ص ٢٤ على أن يقول - وهو يقابل بين اللاميتين : « امتازت لامية الشنفرى بالصراحة .. أما الطغرائي فهو يوصيك بالحنز والتكتم .. وهذا التباين ليس بغريب فعربي الصحراء غير أعجمي المدينة » .

(١٥) الراوي ٥ : ٤-٥ .

أن تعقد مقارنة بين تصديتين لا رابط بينهما ولا يتشابهان في الوزن أو في ايقاع لام القافية^(١٦) .

لقد آن لباب المتابلة بين « اللامتين » أن يسد^(١٧) .

(٤)

لماذا تناقلت الالسن اللامية ؟ كان الطغرائي أول من أعجب بها ورواها ، وقد يكون مرد ذلك كونها تصور جانباً من نفسه وتؤرخ حدثاً ضخماً في حياته ، ولانها شامخة جاءت على صعيد الشعر العربي العالي ، وعلى عموده المستحب المستعذب في كل العصور دون أن تنسى ذوق عصرها في المعاني والبيان والبديع .

(١٦) شرح لامية العرب الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨هـ) في كتاب خاص سماه : « أعجب العجب في شرح لامية العرب » طبع عام ١٣٠٠هـ (في مجموعة منها المقصورة الديرية) ، وطبع مع شرح آخر لابن زاكور المغربي (أحد أعلام المغرب في القرن الثاني عشر) عام ١٣٢٨ (ط ٣) ، وطبع الشرحان يليهما شرح ابن أحمد المالكي سنة ١٣٢٤ (القاهرة - كما يذكر سر كيس ص ١٩٦٤) . ومن المفيد أن نذكر ان للامية العرب شرحين مخطوطين (صورتها في المجمع العلمي العراقي) للسويدي (ابي البركات عبدالله بن الحسين بن مرعي) ويقع في ٦٦ ورقة ، وللشاذلي (سليمان بن عبد الله) ويقع في ١٧١ ورقة ، تم سنة ١١٣٨ .

والمهم ان هؤلاء انشراح (الزمخشري وابن زاكور والسويدي والشاذلي) لم يشيروا الى الطغرائي أو لاميته وتمسك الشارحان الاخيران بما روى من ثناء عمر ابن الخطاب على لامية العرب واستدلوا بذلك على عظمتها . وفي المكتبة العباسية مخطوطة من شرح النقيجواني ، ينظر الخاقاني .

(١٧) بل ان الدكتور البصير ، ص ٧٤ ، يرى ان لامية العرب منحولة ، وانها تسيىء الى سمعة العرب ، وانها شعوبية قد تكون لامية خلف الاحمر نحلها الشنفرى وسماها لامية العرب ، لانها تصف العرب باللصوصية وقتل النساء والاطفال وأكل التراب .

وذكر الدكتور يوسف خليف ص ١٧٧ :

روى القالي عن ابن دريد نصاً يذكر فيه ان هذه القصيدة المنسوبة الى الشنفرى لخلف الاحمر (الامالي ١ : ١٥٦) وهو نص له قيمته لان ابن دريد كان قريب عهد بخلف ٠٠٠ فاذا أضفنا الى هذا ان أبا الفرج قد أغفل هذه =

ورواها عنه المعاصرون

« وتداولتها الرواة » وشرقت وغرّبت •

ويبدو ان ذبوعها لا يكمن في دلالتها على شاعرية صاحبها بالقدر الذي يدل على ما تضمنت من « أمثال وحكم » يمكن أن يستشهد بها الانسان في سرّائه وضرّائه ، وآلامه وآماله ، ونفاؤه وتساؤمه • فاذا برم ببلد قال « فيم الإقامة في الزوراء •• » واذا أثر السلامة قال : « حب السلامة يشني هم صاحبه •• » واذا حث على التثقل : « ان العلى •• » واذا ضاقت به الدنيا : « أعلل النفس •• » واذا برم بساسة عصره : « ما كنت اوتر •• » واذا اشتد بأسه من الانسان : « اعدى عدوك •• » واذا دعا الى القناعة : « فيم اقتحامك •• » وهو في كل حال يجد في البيت « البلمس الشافى » والتجسيد المناسب لما هو فيه ، كما يستشهد المرء بالمثل الشائع ، وكما سارت أبيات المتنبى •

ان هذه الامال هي التى عملت على بقاء القصيدة وتنقلها بين الاجيال ، وعلى عناية الناس وروايتها وشرحها ومعارضتها - وحتى ترجمتها •

ولقد أدركنا جيلا يحفظها ويعتز بها ويرسل أبياتها في مناسبة وأخرى من مناسبات الحياة : فيم الإقامة •• أعلل النفس •• حب السلامة •• وانما رجل الدنيا • ولا شك في أن حفظ اللامية بهذا المعنى ، يدل على أن الناس قدروها بأمر هي خارج طبيعة العمل الادبي وخارج الفن وما حفلت به هذه القصيدة من جلال في التراكيب وفي العواطف ، وما عبر به صاحبها عن حالات نفسية عاناها ومتناقضات أثقلت كاهله •

= اللامية في ترجمته للشنفرى اغفلا تاما ولم يشر اليها أي اشارة على كثرة ما روى من شعره (الاغانى ٢١ : ١٣٤-١٤٣) •• وان لسان العرب - على كثرة ما نقل من شعر الصعاليك - لم يرد فيه أي ذكر لها ولاي بيت منها ، بدأت كفة الشك في صحة نسبتها ترجح •
والحق يقال ان خلفا قد صور حياة الصعاليك في هذه اللامية •• حتى ليصح أن نطلق عليها « لامية الصعاليك » لا لامية العرب •

ولم تكن اللامية وحيدة في هذا الباب ، فان أكثر الشعر العربي الذي تناقلته الاجيال الاخيرة كان بمقياس خارجي يتصل بالحكم والامثال أو بالجناس والطباق . . ولقد « خلد » هذا المقياس كثيرا من الشعر الرديء وعفى على كثير من الشعر العالي .

وصحيح ان في اللامية حكما وأمثالا ، ولكننا لا نعجب اليوم بها لمجرد وجود الحكم والامثال ، ولا نعد ذلك سرا في خلودها . ان خلود اللامية يكمن في عمق التجربة والعواطف التي عبرت عنها بقدرة وتمكن .

ان هذه العواطف والحالات النفسية التي هي عواطف رجل بعينه عاش في القرن الخامس - السادس للهجرة - من القوة بحيث يحس أنفسهم فيها ملايين الناس في مشارق الارض ومغاربها ، فاذا أصابهم الخير وجدوا أنفسهم فيها ، واذا أصابهم الشر وجدوها كذلك . انها تجربة خاصة ، ولكن صاحبها كان من القوة والعنف بحيث اكسب هذه التجربة الشمول والدوام ، ودل على استيعابه مجتمعه وانعكاساته في نفسه .

(٥)

واللامية من القصائد القليلة التي لقيت عناية مدهشة لدى الشراح حتى زادت شروحها على العشرة^(١) :

- (١) شرح أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦^(٢) .
- (٢) شرح صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي^(٣) المتوفى سنة ٧٦٤ .

(١) أورد أكثر هذه الشروح حاج خليفة ، باب اللام ، ١٥٣٦ - ١٥٣٧
(= ٢٩٢:٥ - ٢٩٥ ط ٠ فلوجل) وأشار بروكلمان الى عدد من نسخها المخطوطة .
(٢) منه نسخة غير كاملة في الاسكوريال ، وينظر دربنورك ، ٢٠٤ .
(٣) طبع بعنوان « الغيث المسجم في شرح لامية العجم » وورد اسمه لدى حاج خليفة ، طاشكبرى زاده ١: ١٨٩ (علم الدواوين) وفي بعض الشروح الاخرى على : « الغيث الذي انسجم ٠٠ » . ينظر عن الصفدي ، العسقلاني ٢: ٨٧ ، السبكي ٠ ٩٤:٦

وهو ضخم يقع في جزئين • طبع للمرة الاولى عام ١٢٩٠ ، وللثانية عام ١٣٠٥ وتبلغ صفحات هذه الطبعة ٥٤٤ صفحة • وقد ذكره الصفدي في الوافي عندما ترجم للطغرائي وتحدث عن اللامية فقال : « وقد وضعت عليها شرحا في أربع مجلدات » (٤) .

— (٣) شرح الشيخ كمال الدين محمد بن موسى الديميري المتوفى عام ٧٣٩ • وهو تلخيص لشرح الصفدي • منه مخطوطتان في كمبرج ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ • ذكر فيه الديميري « ان الصفدي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائدها الا أظهرها غير انه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة ومن نكتة الى نكتة • • فهو غريب في بابه عزيز عند طلابه » فلخصه •

(٤) شرح بدرالدين محمد بن أبي بكر (بن عمر) بن محمد بن سليمان المالكي الدماميني المتوفى سنة ٨٢٨ • واسم الشرح : « نزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم • منه مخطوطة في دار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٤١ ، ومخطوطة في ليدن ، رقم ١٠٠٦ تقع في ١٢٥ ورقة •

جاء في مقدمته : « • • أما بعد • • فان بعض سكان الاسكندرية ممن يزعم انه من طلبة العلم • • شاهدته يطنب في شكر الكتاب الذي وضعه صلاح الدين خليل الصفدي شرحا على لامية العجم ويرى انه حلو في الذوق ، خلو من العجم • • فكنت أود لو وقفت على هذا الكتاب لاقتضي منه الوطر • • فلما ارتحلت الى الديار المصرية في أواخر سنة ٧٤٩ وقفت عليه وقوف منتقد لما فيه من الزيف ، سالك معه سبيل الانصاف منكب عن طريق الحيف فوجدت هذا الصلاح قد ارتكب خطبا جليلا • • فأردت أولا نبذ هذا الكتاب وطرحة • • ثم اردت في الحاضر تبكيث ذلك الكاذب • • فكتبت في هذه الاوراق ما تيسر من الاعتراضات التي عرضت والانتقادات الصحيحة التي آلت المعاند وأمضت • • وحيث كان ذلك التصنيف موسوما « بغيث الادب الذي انسجم في شرح لامية العجم » رأيت ان اسمي هذه

المنافشات « بنزول الغيث » لانها التي انزلته الى الحضيض وأوقعته من اعتراضاتها
في الطويل العريض^(٥) .

ويسير في المناقشات وكلها في النجو والعروض واللغة والبديع لا تمس
اللامية ولا تتصل بها^(٦) .

(٥) قطر الغيث المسجج في شرح لامية العجم للشيخ عبدالرحمن الشافعي
•• الطيب •• مقتديا بالصفدي والدميري^(٧) .

(٦) شرح علي بن قاسم الطبري^(٨) واسمه « حل المبهم في شرح لامية
العجم » ••

(٧) شرح أبي جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجي ثم المراكشي ، واسمه
« ايضاح المبهم من لامية العجم^(٩) » •• وقد جاء في مقدمته : « •• وبعد •• فان اللامية
•• اشتمل عقدها من نفيس المعاني على درر مكنونة •• بيد أن شارحيها لم يشفوا
غليل التأمل ، فمن مقصر يخل ، ومن مطول ممل •• فأشار من تعين علي طاعته
عند قراءتها عليه وتصحيح ألفاظها لديه بأن أضع عليها شرحا يكشف القناع عن
وجوه محاسنها •• سميت ايضاح المبهم من لامية العجم •• وجعلته تحفة مهداة
لحضرة الملك الاعظم •• السلطان أبي العباس أحمد بن مولانا الملك الاشرف أبي
عبدالله محمد الشريف الحسنيني •• »^(١٠) .

(٥) عن مقدمة مخطوطة ليدين •

(٦) في هامش ص ١٢١٢ من سركيس : « •• منه نسخة نفيسة في الخزانة
التيمورية وثلاث نسخ •• في دار الكتب المصرية •• ورد على الدماميني علاء الدين
ابن ابرص •• المتوفى سنة ٨٦٢ في كتاب تحكيم العقول بأفول البدر بالنزول •• »
الخاقاني ، منه نسخة في المكتبة العباسية •

(٧) طبع علي هامش « نفحات الازهار على نسيمات الاسحار في مدح النبي
المختار لعبد النبي النابلسي » ، في بولاق ودمشق ١٢٩٩/١٨٨٧ •

(٨) يذكر حاج خليفة انه توفي في حدود ٦٨٣ •

(٩) انتفع به Van der Sloot

(١٠) عن مقدمة مخطوطة ليدين ٧٧٧ •

منه مخطوطتان في ليدن ٦٥ ، ٧٧٧ . وقد وردت « أبي جمعة » على « ابن جماعة » في كشف الظنون .

(٨) شرح الشيخ جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي المتوفى سنة ٩٣٠^(١١) مسموما بالهند . وسماه « نشر العلم في شرح لامية العجم » أوله : « الحمد لله الكريم المنان . . . » ذكر فيه انه مجرد أكثره من شرح الصفدي واختار محاسن شعره ، واقتصر منه على ما يتعلق بشرح القصيدة وذكر فيه ان الصفدي شرحها فأوعى وأوعب ، وأظنّب وأسهب ، وأعجب وأغرب ، وأطلق أعنة الافلام ، وجر أذيال فضول الكلام ، وأسهل وأوعر وأنجد وأغور ، واستطرد من فنون الى فنون ، واسترسل في شجون من الجحد والمجون حتى صار ذلك التطويل سببا للعجز عن التحصيل ، هذا مع ما خرج فيه عن الحد ، وطفى الماء في المد من مستهجنات هزله التي لا تليق بقلمه وفضله بما لا يحل ذكره . بل تخل بالعدالة روايته وسماعه . . . »^(١٢) .

مخطوطاته في عدة مكاتب . وقد طبع في القاهرة أكثر من مرة .

(٩) بروق الغيث لابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ . جاء في مقدمته : « . . . أما بعد . . . فانه ما خفي على سراة الادب . . . من أن الشيخ الصفدي . . . أتى في شرح لامية العجم بفضلات غير ملائمة لشدة شغفه بالكثرة . . . وقد رُسم لي أن اختصر هذا الشرح . . . وكان الشيخ قد سمى شرحه « غيث الادب الذي انسجم » ولكن ما انتظم له انسجامه . وقد أسميت مختصري هذا « بروق الغيث » وهو البروق التي تومض من سواد السطور في حنادس الظلام ، ولم أورد من غيث الادب الا ما تروى به أذواق من تأدب لثلا يقال ان في بروق هذا الغيث برقاً خلباً . فان علامة العصر القاضي بدرالدين الدماميني المالكي المخزومي فسح الله في أجله تقدمني في تصنيف كتاب سماه

(١١) وروى ٩٣٩ . قال سر كيس ٥٣٢-٥٣٣ : ولد عام ٨٦٩ بحضرموت ، ووسلك السلوك في التصوف ، توفي عام ٩٣٠ وطبع نشر العلم بمط . كاستلي سنة ١٢٣٨ وبالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٩ ، ١٣٢٠ .
(١٢) حاج خليفة .

نزول الغيث • • «

منه مخطوطة في ليدن ، رقم ١٠٣٦ • وقد طبع في بولاق سنة ١٢٥٠
وانتفع به • H. Van der Sloot

(١٠) شرح جلال بن خضر الحنفي ، ألفه بقسطنطينية في محرم ٩٦٢ •
أوله « حمدا لمن هداانا بأوضح تبيان • • سماه نبذ العجم عن لامية العجم • وهو
شرح مفيد متوسط ، أكبر من شرح أبي جمعة بقليل » (١٣) •

منه نسخة في كمبرج ، رقم ١٠٥٧ ونسخة (ناقصة) في المتحف البريطاني
رقم ٣١٦٤ • وجاء في مقدمته : « • • التمس مني بعض الفضلاء الفخام والادباء
الكرام من أعيان الروم • • أن أشرحها شرحا ليس بالطويل الممل • • ولا بالقصير
المخل • • فاعتذرت • • فلما لم تقبل هذه الأعذار • • التمسيت شرحا من شروحها
لاحدو حدوه • • فسألت عن ذلك جمعا من الأعيان والاخلاء والاخوان • • فلم
يجب أحد عنه • • وكان ربوع هذا العلم قد درست عليه الدارسات • • فاستخرت
الله • • وشرعت • • » (١٤) •

(١١) شرح حسين الكفوي • جمعه من الشروح ، كشرح الصفدي وشرح
القاضي جلال الدين المدني • وذكر اعتراض الدماميني باسمه •

منه مخطوطة في المتحف البريطاني رقم ٢٣٥٩٤ وتشير الى أن الشارح
كان بمكة •

(١٢) حاشية الشيخ عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباس المتوفى سنة ٩٦٣
على شرح الصفدي (٣٥) •

-
- (١٣) حاج خليفة وقيد وردت « أبي جمعة » على « ابن جماعة » في ط •
استانبول ، وابن الجماعة في ط • فلوجل •
(١٤) مخطوطة لندن و٤ أ •
(١٥) في طبعة فلوجل لكشف الظنون : العباسي •

(١٣) الارب من غيب الادب ، طبع في بيروت سنة ١٨٩٧ •

(١٤) شرح الميناوي • تحفة الرائي للامية الطغرائي • طبع في القاهرة

(بولاق) ١٣١١ •

لقد انتشرت الامية وشروحا في العالم ، ولا تكاد تخلو اليوم مكتبة تعنى بالمخطوطات من شرح أو أكثر من شروحا •

لقد شرحت هذه الكتب الامية ، وبلغ شرح الصفدي درجة من الضخامة تدعو الى العجب • فماذا فعلوا ؟ انهم يبدأون بتفسير المفردات تفسيراً قاموسياً ثم يعربون اعراباً مدرسياً ثم يايخسون مجمل معنى البيت وقد يستشهدون بأبيات من هذا الشاعر أو ذاك لكل مناسبة •

وربما كان العكبري أول من سن هذا المنهج في شرح الامية • ولقد بالغ الصفدي فيه • ولك أن تسأل ماذا في شرح الصفدي ؟ وكيف تسنى له ذلك ؟ ولو شئنا القسوة - أو المداعبة - لقلنا : ان في شرح الصفدي للامية كل شيء الا شرح الامية • ذلك انه اتخذ القصيدة وسيلة لغاية أبعد ليست من الامية في شيء ، لقد كان يخرج لمناسبة وغير مناسبة ليحدثك عن المصدر وحروف الجر والخسوف والكسوف والذفلاك وما قاله فلان وفلان قبل الطغرائي ، وما قاله فلان وفلان بعد الطغرائي ، وقد ضاعت الامية في هذا الخضم المضطرب •

وتبه القدماء الى مساوىء شرح الصفدي هذا فعملوا الملخصات^(١٦) وألفوا شروحا نزهوها من الاستطراد والاطالة • ذلك انك مهما تقل في الحظ من شرح الصفدي لا تستطيع أن تدعي انه مما يستغني عنه طالب العلم بمفردات الامية واعرابها ومعاني أبياتها ، فلا بد من تجريدتها • ولقد استعنا به - كما رأيت في حواشي النص الذي أبتناه للقصيدة - استعانة كبيرة •

(١٦) يذكر الخاقاني ان في المكتبة العباسية ملخصاً للصفدي لخص به

« الغيث » في أربعة أيام ••

على اننا لا نعد - اليوم - شرح الصفدي والشروح الاخرى شروحا بالمعنى الصحيح • انه مقدمة للشرح ، واعانة عليه • ان الشرح الحقيقي هو الذي يبين جو القصيدة وظروفها وصلتها بناظمها ومدى اعرابها عن حاله النفسية وصلة المقطع منها بالمقطع والبيت بالبيت •

وانك لتبحث عن هذا فلا تكاد تجد له مكانا في ذلك الخضم من الشروح التي تتحدث وتطيل الحديث دون أن تربط ودون أن تصل • ولو قيض للصفدي الامام بهذا المنهج الذي نريده لأفادنا كثيرا ، ولحفظ لنا أمورنا يصعب علينا أن ندعي العلم بها • عن بغداد عام ٥٠٥ ، عن العطل الذي أصاب الشاعر ، عن الاصدقاء الذين تنكروا ، عن أصبهان ومن بقي فيها من آل الشاعر وذويه ، ولوقف عند « دولة الاوغاد والسفل » •

انا اذ نشئت مع الصفدي في الحساب نكون قد حاسبناه على ما لا قبل له به ، فهو رهين عصره •

وقد ظل كتابه مثار اعجاب ، حتى اذا طبع في الاسكندرية عام ١٢٩٠ قال الشيخ ابراهيم افندي الاحدب الطرابلسي (٢ : ٤١١-٤١٢ من الطبعة) :

هل بارق من ثانيا شعر مبتسم ابان نظم الآلي في دجى الظلم

★ ★ ★

ام ذي مناهل غيث قد اضيف بما
لامية العجم استعلت به وزهت
شرح بديع به شرحي يطول اذا
ابان للمقوم افسان الفنون فما
حلا الى أدب بالفضل منسجم
بمعرب للمعاني غير منعجم
احكمت فيه بيان التعت بالحكم
روض جلا نور منشور ومنتظم

★ ★ ★

لله در صلاح الدين منشؤها
لم ينصف ابن الدماميني حيث أتى
ابكار حسن فما سلمى بندي سلم
منقضا لعلاه غير محتشم ••

وقال الشيخ رمضان حلاوة :

•• خليل ايبك من رافت مشاربه
للّه شرح له سامى العلوم على
مطول ادبا في ضمنه حكم
عن كل معنى يكاد السحر يعبده
يظل يورد أبحاثا ويعقبها
له رجوع الى اتحاف شاردة
وبحر آدابه قد فاض كالديم
لامية العجم المرفوعة العلم
لا خير في قصر الآداب والحكم
وكل لفظ رقيق الحسن منتظم
ورد الحديث فيروى منه كل ظمي
على أصالة رأي فيه ملتئم

(٦)

ولقد تلقف اللامية كثيرون ، عارضوها وشرطوها واختاروها (١٧)
واستشهدوا بأبياتها وسارت مسير الامثال وانسابت في حنايا الحديث وتسربت في
نايا الكتابة ، وتغلغت في التقاليد واستقرت في العقول •
فمن العناية التي لقيتها اللامية ودلت على اهتمام الناس بها ، واعجاب
الادباء : التشطير والتخميس والمعارضة وما أشبه •

وروى الصفدي : « أنشدني لنفسه من لفظه المولى نور الدين علي بن محمد
ابن فرحون المالكي اليعمري المدني بدمشق المحروسة في سنة احدى وأربعين
وسبعمائة هذه اللامية وقد ركب على كل صدر عجزا وعلى كل عجز صدرا
فناسبها ، وهذا قصد ظريف • ومما أنشدني قوله :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وسرعة الحزم ذادتني عن المذل
وحلة العلم اغتنتي ملايسها وحلية الفضل زاتنتي لدى العطل
مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع وسؤددي ذاع في حل ومرتحل

(١٧) وممن اختارها السيوطي في الكنز المدفون ، ١١٢ - وأحمد اليمني
الشرواني أحد ادباء القرن الثالث عشر للهجرة في كتابه « نفحة اليمن فيما يزول
بذكره الشجن » وطبع مرارا ، ينظر سر كيس ١١٢٠ •

وهمتي في الغنى والفقير واحدة
والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى دان ولا انا في عيش بها خضل
وليس لي ارب فيها ولا خولي بها ولا ناقتي فيها ولا جملي (٢١)

وفي آخر مخطوطة لشرح الديميري في مكتبة الدكتور حسين محفوظ نسخة
من هذا التعجيز والتصدير باسم « نزهة النظر ونخبة الفكر » .
وقال الصفدي « زعم بعضهم ان بعض الشعراء غير قوافي هذه القصيدة
من اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذر لأن ألفاظ هذه القصيدة في غاية
الفصاحة وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقلة ولا نافرة ومعانيها بليغة
غير ركيكة وقوافيها في غاية التمكن » (٢٢) .

وأورد أبياتا في معرض مدحها والثناء عليها يمكن أن تكون ضربا من المعارضة
في الوزن والقافية :

فما لها في الورى مثل يناظرها وكم لها سار بين الناس من مثل
أقمارها في تمام النظم قد طلعت تسير في أوج معناها ولم تفل
وزهرها لم تزل تدى غضارته لأن منبته في روضها الخضل
يرتاح سامعها حتى يهز لها من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعر غيرها سمعا ولا بصرا

« في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل » (٢٣)

على ان الصفدي - وهو المعجب المستهام باللامية - عارضها وكان مما قال (٢٤):

الجَدُّ في الجِدِّ والحِرمانُ في الكسل فانصب تُصب عن قريب غاية الامل

• (٢١) الصفدي ١: ١٨

• (٢٢) نفسه ١: ١٣

• (٢٣) نفسه ١: ٣

(٢٤) الشرواني ، نفعة اليمن ، ١٥ ٤ ، الهاشمي ، جواهر الادب (فرغ من

جمعه سنة ١٣١٩) . وليلاحظ ان الصفدي لم يشر في « الغيث » الى معارضته .

واصبر على كل ما يأتي الزمان به
وجانب الحرص والاطماع تحظ بما
ولا تكونن على ما فات ذا حزن
واستشعر الحلم في كل الامور ولا
وان بليت بشخص لا خلاق له
ولا تمار سفيا في محاوره
ولا يفرّك من يدي بشاشته
وان اردت نجاحا كل آونة
ان الفتى من بماضي الحزم متصف
ولا يقيم بأرض طاب مسكنها
ولا يضيّع ساعات الزمان فلن
ولا يراقب الا من يراقبه
ولا يعد عيوبا للورى أبداً
ولا يظن بهم سوءاً ولا حسناً
ولا يؤمّل آمالاً بصبح غد
ولا يصد عن التقوى بصيرته
فمن تكن حلة التقوى ملابسه
من لم تفده صروف الدهر تجربة
من سالمته الليالي فليثق عجلا
من ضيّع الحزم لم يظفر بحاجته
من جاد ساد وحيى العالمون له
من رام نيل العلى بالمال يجمعه
من لم يصن نفسه ساءت خليفته
من جالس الوغد والحمقى جنى ندما
فخذ مقال خبير قد حوى حكما

صبر الحسام بكف الدارع البطل
ترجو من العز والتأييد في عجل
ولا تظلل بما اوتيت ذا جذل
تسرع ببادرة يوما الى رجل
فكن كأنك لم تسمع ولم يقل
ولا حلما لكي تقصى عن الزلل
ايك خدعا فان السم في العسل
فاكم أمورك عن حافٍ ومنتعل
وما تعود تقض القول والعمل
حتى يقداً أديم السهل والجبل
يعود ما فات من أيامه الأول
ولا يصاحب الا كل ذي نبل
بل يعتني بالذي فيه من الخلل
بل التجارب تهديه على مهل
الا على وجل من وثبة الاجل
لانها للمعالي أوضح السبل
لم يخش في دهره يوما من العطل
فيما يحاول فليسكن مع الهمل
منها بحرب عدوً جاء بالحيل
ومن رمى سهام العجب لم ينل
بديع حمدٍ بمدح الفعل متصل
من غير حل بل من جهله وبلى
بكل طبع ردى غير منتقل
لنفسه ورمى بالحادث الجلل
اذ صغته بمد طول الخبر في عملي

والحكم ، والدعوة الى الصبر والحلم والكتمان والحزم وما الى ذلك مما
طرب له الصفدي اذ رآه في لامية الطغرائي (٢٥) وكأنه يرى في ذلك كل ما
فيها • أما قصيدته فليست شيئاً ، انه تعليم فقط •

• وخمسها عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الربعي البغدادي ••
وشهاب الدين أحمد بن عبدالله الاندلسي الوادياشي واجاد • توفي سنة
٧٣٩ ، (٢٦) •

أما صفي الدين الحلبي فانه كتب بقصيدة الى صديق تأخر عن انجاده في
واقعة له وقد كان انجده في عدة وقائع وتأخر عنه عند سفره لمجرد ان أصداده
خدعوه ووعدوه بولاية ، والحقيقة ان صفي الدين لم ينظم من القصيدة سوى
صدر المطمع وصدر الختام ، أما بقية الابيات فليس من شعره ، فقد عمد الى
عشرين بيتاً من لامية الطغرائي فأخذ اعجازها وخرج لها عشرين صدراً اختارها من
أعجاز قصيدة المتنبّي

قل للحلبي الذي قد نام عن سهري
تمام عني وعين النجم ساهرة
فالحب حيث العدى والأسد رابضة
فهل تعين على غيّ همت به
حب السلامة يثني عزم صاحبه
فان جنحت اليه فاتخذ نفقاً
رضى الذليل بخفض العيش يخفضه
ومن بجسمي وحالي عنده سقم
واحر قلباه ممن قلبه شبم
فليت انا بقدر الحب نقسم
ني طيه اسف في طيه نعم
اذا استوت عنده الانوار والظلم
ليحدثن بمن ودعتهم ندم
وقد نظرت اليه والسيوف دم

(٢٥) ولنذكر ان لامية الصفدي كانت سائرة •

(٢٦) حاج خليفة ١٥٤٨ ، ١٥٣٩ •

ومما يذكر ان حاج خليفة يذكر ص ١٥٣٩ : « لامية الروم لمحمد بن محمد

ابن محمد بن محمد المعروف بابن الحكم الحلبي ، أولها :

حتام انظم من دمعي ومن غزلي أدلة وحبيب القلب معتزلي

ويتحدث عن لامية في العروض ولامية في الكلام •

ان المعارف في أهل النهى ذمم
واسمعت كلماتي من به صمم
ادركتها بجواد ظهره خذم
لو ان امركم من أمرنا امم
حتى ضربت ، وموج الموت يلتطم
شهبُ البزاة سواء فيه والرخم
فلا تظنن ان الليث يتسم
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
فما لجرح اذا أرضاكم ، ألم
وشر ما يكسب الانسان ما يصم
والله يكره ما تأتون والكرم
فك الخصام وانت الخضم والحكم
تصافحت فيه بيض الهند واللحم
قد ضمن الدر الا انه كلم (٢٧)

ان انعملى حدتتي وهي صادقة
أهبت بالحفظ لو ناديت مستمعا
لعله ان بدا فضلي ونقصهم
أعلل النفس بالأمال أطلبها
غالى بنفسي عرفاتي بقيمتها
ما كنت اوتر أن يمتد بي زمن
اعدى عدوك ادنى من وثقت به
وحسن ظنك بالايام معجزة
ان كان ينجع شئ في ثباتهم
يا واردا سور عيش صفوه كدر
فيما اعتراضك لبحر تركبه
وبا خيرا على الاسرار مطلقا
قد رشحوك لامر لو فطنت له
فأفطن لتضمين لفظ فيك أحبه

ولعمل صفي الدين هذا دلالة في تقدير الالامية وصاحبها لانه اكبر شعراء
المئة الثامنة ، ودلالته أيضا على شيوع الالامية •

ويقول الديوان : ان الصفي « ناسب بين القصيدتين مناسبة عجيبة توافق
غرضه ، فجاءت وكأنه نظمها بنفسه » •

أما انها عجيبة فصحيح ، أما « وكأنه نظمها بنفسه » فصعب التصديق ، لاسيما
لأولئك الذين قرأوا الالامية وقرأوا الميمة وبقيت آثارهما في النفس •

هذا الى أن القصيدة الناتجة عن الخلط لم تعبر تمام التعبير عن عمق
الحادثة التي أثارها •

(٢٧) ينظر ديوان صفي الدين ص ٥٤-٥٥ ، علوش ص ٢٧٨-٢٧٩ •

وروى فأندر سلوت - مما يدخل في المعارضة :
أفنع تجل ولا تطمع تذل ولا تعجل تزل ولا تقترّ بالأمل
وروى حاج خليفة : « اللامية في نظير لامية الطغرائي - للشيخ غرس الدين
خليل بن محمد الأقفهسي (المتوفى سنة ٨٢٠) ، على وزنها ، أولها :

دع التشاغل بالفِزلان والفِزل
يكفيك ما ضاع من أيامك الاول (٢٨)

وفي مخطوطة بالمتحف البريطاني : « هذا شفاء السقم .. في تخميس
لامية العجم »

العلم والعقل للانسان خير حلي فضلي كنار القرى ليلاً على جبل
وعند مكري سواء غامض وجلي اصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الحلم زاتني لدى العطل (٢٩)

وفي احدي مخطوطات المتحف البريطاني نقراً :
« هذه لامية العرب مبارية لامية العجم :

زيادة القول تحكي النقص في العمل ومنطق المرء يهديه عن الزلل
ان اللسان صغير جرمه وله جرم عظيم كما قد جاء في المثل ..
وتستمر في الحكم والجود والحلم .. (٣٠)

وفي مطلع العصر الحديث لم تفقد اللامية مكانتها ، وقد عارضها السيد
أحمد الهاشمي وأثبت معارضته في كتابه « جواهر الادب » - الذي فرغ من
جمعه سنة ١٣١٩ :

-
- (٢٨) حاج خليفة ١٥٤٠ .
(٢٩) المخطوطة رقم ٧٤٣٣ ، و٥٣ ب .
(٣٠) من المخطوطة ٧٥٩٨ و ١٨٠ .
وينظر الشرواني ، نفحة اليمن (ينسبها لصاحبها) .

عليك بالصبر والاحلاص في العمل ولازم الخير في حل ومرتحل

★ ★ ★

لا تطلب العز في دارٍ ولدت بها « فالعز عند رسيم الأبنق الذال »

★ ★ ★

وسادة العصر قد ألقوا مقالدهم الى الطغاة شرار الناس والسفل^(٣١)

★ ★ ★

فقد فقدت الأولى كانت ببهجتهم نور النواظر في الاحداق والمقل

★ ★ ★

خذاها مجبّرة غيضاء غانية أتت على عجل كالكابس العجل

جاءت من « الهاشمي » لا تبغي مهرا من خاطب لبنات النظم في عطل^(٣٢)

والقصيدة دليل آخر على ذوق العصر وعلى مدى ما فهم المعجبون من لامية

الطغرائي • وكثيرا ما ضمن الهاشمي اعجاز لامية الطغرائي •

ولا شك في أن هذه معارضات أخرى ، وخير معارضة - فيما نعلم - لامية

البارودي^(٣٣) :

قلدتُ جيد المعالي حلية الغزل وقلت في الجدي ما أغنى عن الهزل

يأبى لي الغيَّ قلب لا يميلُ به عن شريعة المجد سحر الاعين النجل

أهيمُ بلبيض في الأعماد باسمه عن غرّة النصر لا بالبيض في الكلال

لم تلهني عن طلاب المجد غانية في لذة الصّحو ما يغني عن التّمل

(٣١) وفي بيت الطغرائي دولة الاوغاد والسفل

(٣٢) الهاشمي ، جواهر الادب ، باب الحكم

(٣٣) ديوان البارودي ٢: ٢٠٧ - • ويذكر الشارح انه قالها على قافية

وروي لامية العجم للطغرائي • ذكرنا بهذه المعارضة الاديب حارث طه الراوي •

وبين معتكفٍ يبكي على طلل
 مزيةُ الفرق بين الحلي والعطل
 فلباز لم يأوِ الا عالي القل
 في لجة البحر ما يغني عن الوشل
 ويقعد العجزُ بالهيابة الوكل (٣٤)
 ألقى به الأمنُ بين اليأس والوجل
 فرونق الآل لا يشفي من الغلل
 لبات من ود ذي القربى على دخل
 فالكحل أشبه في العينين بالكحل
 يُصليكَ من حرّها ناراً بلا شعل
 ومزقت شمل ودّ غيرٍ منفصل
 عني فما كل رامٍ من « بني ثعل »
 كرُّ الجديدين من ماضٍ ومقبل
 ولا مسحتُ جبين العز من خجل (٣٥)
 وذقت ما فيه من صاب ومن غسل
 أشهى الى النفسِ من حرّية العمل

كم بين متدب يدعو لمكرمة
 لولا التفاوت بين الخلق ما ظهرت
 فانهض الى صهوات المجد معتليا
 ودع من الأمر أدناه لأبعده
 قد يظفر الفاتك الألوى بحاجته
 وكن على حدّ رٍ تسلّم فرُبّ فتى
 ولا يغرنك بشر من أخي ملقٍ
 لو يعلم المرء ما في الناس من دخنٍ
 فلا تنق بودادٍ قبل معرفة
 واخش النيمة واعلم أن قائلها
 كم فريقة صدعت أركان مملكة
 فأقبل وصاني ولا تصرفك لاغية
 اني امرؤ كفتني حلمي وأدبني
 فما سرّيت قناع الحلم عن سفه
 حلت أشطر هذا الدهر تجربة
 فما وجدت على الأيام باقية

وانك لو اجد في هذه اللامية الفخر بالجد والطماح الى المجد وتلمس روح
 الحكيم المجرب الناصح بالعمل والحذر مع مسحة من الشكوى وشعور بالمرارة ، لكن
 ما يكاد يبلغ البارودي الحديث عن زمانه وسيرة حاكميه حتى يعلن ألمه الشديد ، وحزنه
 العميق على ما آلت اليه حاله وحال البلاد فيمنح آياته كثيرا من العنف والقوة ، ولا
 تحس بانّه يعارض أو يقلد ، فكأنه انصرف الى ما هو عليه فأعرب عنه بتأثر وشدة
 فعل الشاعر الاصيل ، وكل ما يجمعه بالطغرائي جامع الشكوى والشعور بالضميم
 ثم الثورة :

-
- (٣٤) الألوى : الشديد الخصومة ، الصعب الخلق
 - (٣٥) سرّيت : كشفت

قامت به من رجال السوء طائفة
من كل وغد يكاد الدتست يدفعه
أدهى على النفس من يؤس على نكل
بُغضا ويلفظه الديوان عن ملل

* * *

قوم" اذا أبصروني مقبلا وجموا
غيظا وأكبادهم تنقد من دغل (٣٦)

* * *

بئس العشير وبئس مصر' من بلد
أرض تأتل فيها الظلم وانقذت
وأصبح الناس في عمياء مظلمة
أضحت مناخا لاهل الزور والخلل
صواعق الغدر بين السهل والجبل
لم يخط فيها امرؤ" الا على زلل

* * *

فبادروا الامر قبل الفوت وانتزعوا
شكالة الريث فالدنيا مع العجيل

* * *

هذي نصيحة من لايتغي بدلا
بكم وهل بعد قوم المرء من بدل

وفي عنفوان هذا الانسجام وما هو فيه نسي الطغرائي ولايته فقال :

أسهرت جفني لكم في نظم قافية
ما ان لها في قديم الشعر من مثل ..

ولا شك في أن المعلم داود صليوا صاحب مجلة صدى بابل كان يفكر باللامية
وبمعارضتها عندما كتب عام ١٩١٠ :

« حنين المشتاق : الى لقاء وزير العراق » في تهنئة رفعها الى ناظم باشا :

يا حادي العيس عج بي بالحمى وسل

عن قاتلي نبيل اللحظ لا الاسل

وفيهما مثل : طردت حادي الكرى من مقلتي فغدا ، ومنل أصيل رأى ..
ومثل حالي العطل (٣٧) .

(٣٦) دغل : حقد .

(٣٧) صليوا ، صدى بابل ، بغداد .

وتسربت - كما هو طبيعي الى المقالات فهذا (س٠م) آل المدرس ينشهد
- وهو يكتب في جريدة الشرق عن الشجاعة(٣٨) ب :

حب السلامة

فان جنحت

يرضى الذليل

وتفتح هذه الجريدة بابا ثابتا للآيات الخالدة ، وما كان لهذا الباب معدى
عن آيات من لامية الطغرائي •

وفي جريدة العراق يتحدث متحدث فيقول : « بلغت هذه العاصمة منذ بضعة
أيام وبقيت أتردد في أنحاءها مرددا قول الطغرائي :
فلا صديق اليه مشتكى حزني

ولا حبيب اليه منتهى جذلي (٣٠)

ويردد آخر : اعلل النفس .. (٤٠)

ويقول آخر :

« المجتمع العراقي .. يسير على حد قول الشاعر :

وانما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على رجل (٤١)

وفي باب « الشعر الخالد »

تقرأ : « اذا المرء لم يدنس .. » و « اذا انت لم تشرب مرارا .. »

و « ومهما تكن عند امرئ .. »

وتقرأ :

اعلل النفس بالآمال ارقبها

ما أضيق العيش لولا فسحة الامل (٤٢)

(٣٨) محمود أحمد (س٠م) آل المدرس •

(٣٩) س ١ ، ٣٠ تموز ١٩٢٠ العدد ٥١ ص ٣ (ساعة في مكتبة السلام) •

(٤٠) س ١ ، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠ العدد ١٥٠ •

(٤١) العدد ٢٢١ ، س ١ ، ١٩ شباط ١٩٢١ •

(٤٢) العدد ٣٧ ، ١١ آب ١٩٢١ ، ص ٢ •

وفي العام نفسه يكتب ميخائيل تيسي « قصة المهر والزواج » ويقول ••

ان رمت من فولك الاصلاح للنخلل

تفوز (؟) أن تقرن الاقوال بالعمل (٤٣)

وليس من المعقول أن لا تكون اللامية في ذهنه عند ذكر هذا البيت

وفي عام تال يقول كاتب : « فأملوا انفراج الازمة ••

اعلل النفس •• » (٥٠)

وتصدر العراق عددا ممتازا فقرأ في فهرس « محتويات العدد » : لامية

الزهاوي ، ص ٢ ، وتفتح ص ٢ واذا :

اندفاعات

للاستاذ جميل الزهاوي

يكفي لاطهار ما في النفس من دخل

يوم من الحزن أو يوم من الجنذل

* * *

بفداد ليست كما قد كنت تعهدا

في عهد هارون عصر العلم والعمل (٥١)

ولامية الزهاوي طويلة وقد وزعها قطعا متعددة في ديوانه (٥٢) •

(٤٣) العدد ٢٩٦ ، ١٨ أيار ١٩٢١ •

(٥٠) العدد ٥٢٦ ، ١١ شباط ١٩٢٢ •

(٥١) الزهاوي (جميل صدقي) في جريدة العراق ، العدد الممتاز ،

٣٩١ ، ١ كانون الثاني ١٩٢٢ •

(٥٢) ينظر ديوان الزهاوي ص ٣ ، ٤١ ، ٢٤٢ ، وينظر للمعارضة ديوان

الشبيبي ص ١٤١ • الدكتور محسن جمال الدين هو الذي نبهنا الى وجود المعارضة

في ديوان الزهاوي والشبيبي • ولم نذكر ذلك في الطبعة السابقة ظنا منا انه

لا يرغب فيه • ونذكره هنا بناء على طلبه - وهو حقه •

لا يرغب فيه • ونذكره هنا بناء على طلبه - وهو حقه • ولا بد من أن تكون

لاميات اخرى غير قليلة العدد نظمت في معارضة لامية الطفرائي •

واتخذ طه حسين البيت : « اريد بسطة كف .. » موضوع حوار بين التلميذ
الفتى واستاذہ الشيخ (٥٣) .

ودخلت اللامية المدارس الحديثة في كتب المطالعة والمنتخبات وتاريخ
الادب (٥٤) . ولكنها لم تلق حظا من الدراسة والتحليل . ووعده اسماعيل مظهر
بدراستها (٥٥) في ضوء ما سماه « هدوء النفس الثائرة » فلقد قال ان في شعر
الطغرائي « الثورة يخيم عليها هدوء نفسي قلما تأنسه في شاعر غيره . وعندني ان
هذه الصفة لم تتجل في شعر الطغرائي بقدر ما تجلت في لاميته المعروفة .. »
لقد وعد اسماعيل مظهر أن يدرسها في ضوء جديد ودل وهو يمهد
لدراسته هذه ، على اعجاب بها وفهم لأسرارها ولكننا - لسوء الحظ - لم نقف
على جواب لوعده .

★ ★ ★

وتأثر الغربيون بعناية العرب باللامية فعنوا بها وترجموها أكثر من مرة وفي
أكثر من لغة وبلاد . فلقد طبعها عام ١٦٢٩ Golius مع ترجمة لاتينية وعنه
ترجمها الى الفرنسية P. Vattier عام ١٦٦٠ . وقال كرنكو : لعلها - أي
اللامية - أقدم نص من الشعر العربي كان في متناول دائرة واسعة من أوروبا . وأعاد
H. Van der Sloot طبعها عام ١٧٦٩ في فرانكر ، ونشرها مع ترجمة لاتينية
E. Pocock عام ١٦٦١ في أكسفورد ، وأعاد طبعها J. Hirth عام ١٧٧٠ في
L.G. Pareau Institutiones Arabicae, Jena و ١٨٢٤ .

(٥٣) طه حسين - جنة الشوك ، ١٠٦ .
(٥٤) نصت عليها أو اختارتها واختارت منها أكثر كتب تاريخ الادب التي
ألفت في العصر الحديث ، تماما لمسيرتها وزيادة في حلقاتها على الزمن ولا غرو
فأكثر من ألف ، وأوائل من ألف مخضرمون عاشوا أعقاب العصور القديمة وبدأوا
العصر الجديد ومن هؤلاء البارودي (المتوفى سنة ١٣٢٢) مختارات ١ : ٨٧-٨٨ :
الهاشمي (سنة ١٣١٩) ، المرصفي ٢ : ٢٢٦-٢٢٨ (سنة ١٩٠٨) ، زيدان ٣ : ٢٣
(سنة ١٩٣١) ، الزيات ، ٢٨٢ (ط ، ٦ ، ١٩٣٥) الاثري (وجماعة) ، الاساس ،
للمصوف الرابعة الاعدادية ، ١٤٦-١٤٧ (سنة ١٩٥٢) .
(٥٥) مظهر ، مجلة الرسالة ، العدد ٢٠٩ ص ١٠٠٥-٦ .

وترجمها الى الفرنسية Raux ونشرها في باريس عام ١٩٠٣ ، والى
الانكليزية J.D. Carlyle في كتابه « نصوص من الشعر العربي » المطبوع عام ١٧٩٦
باكسفورد • وأعاد طبعاها W.A. Glauston في كتاب « الشعر العربي » المطبوع عام
١٨٨١ • وترجمها الى الانكليزية عن نص Pocock اللاتيني L. Chapellow
وطبعاها في كمبرج عام ١٧٥٨ (٥٦) •

ولقد اطلعت على عدد من الترجمات (الانكليزية والفرنسية) فلم أجد
للمترجمين تعليقات تستحق الذكر ، وأكبر الظن انهم اعجبوا لاعجاب العرب
بها ، وانهم نظروا اليها بالعقلية نفسها •

(٥٦) كرنكو في دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طغرائي ، المجلد
الرابع ص ٨٢٧ • واسم كتاب كارلايل : Specimens of Arabic Poetry
وكتاب كلوستون : Arabian Poetry ص ١٥٣ ، تنظر ٤٣٣ • وينظر
بروكلمان ١ : ٢٨٦-٧ •

خاتمة

اعتزل الطغرائي الناس مدة بعد اللامية (٥٥٠٥هـ) ، ولكن طمأحه أكبر من أن يدعه ساكنا قانعا فعاد الى الطغراء بل هاجر الى الموصل حيث الملك مسعود أخو السلطان السلجوقي (محمود) فأصبح وزيره ثم انضم الى الفئة المحرصة على محاربة السلطان مدفوعا بطمأحه لان يكون وزير السلطان ، ووزير الوزراء ولكنه لقي حتفه عام ٥١٥ ومات شهيدا^(١) .

والمعجبون بفضلِهِ وبشعرهِ غير قليلين ، وللمرء أن يسمع أحاديث المؤلفين على مر العصور ابتداء من العماد الاصبهاني ليرى مكانته ومنزله ، ولكن المعجبين باللامية أكثر وأعنف ، ولقد رأينا أطرافا من ذلك الاعجاب الذي أدى الى الرواية والحفظ والاستشهاد والشرح والمعارضة ، وتوات الشروح واتصل الاعجاب حتى عصرنا الحاضر .

لقد كانت اللامية يوما ما ، واذا أردنا التحديد قلنا : أيام عصر عرف بالفترة المظلمة ، احدى سمات المثقف ، واحدى القصائد التي احتلت المنزلة العليا وعدت من « مهمات المتون » ونزلت منزلة « المعلقات » .

ولعلك تتذكر ان من تلك القصائد : بانة سعاد ، وعينية البوصيري وهمزيتة ، ولامية العرب . . . واذا نسيت هذه اللامية أو تناسيتها بسبب أو آخر ، انك لا تنسى ولا تتعصب للامية تحكمت في عصرها وسيطرت عليه سيطرة تامة ، تلك هي « لامية ابن الوردي » - الامام سراج الدين عمر بن المظفر (المتوفى سنة ٧٤٩) التي نظمها لابنه في ٧٧ بيتا وعرفت بنصيحة الاخوان :

(١) كما رأينا في الفصل الاول من هذا الكتاب .

اعتزل ذكر الغواني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل (٢)

وأخص ما يميز به الذوق الذي أخذ بهذه القصائد ، خضوعه لسultan
« الحكم والامثال » وما اليهما من نصائح وتوصيات ومواعظ في الاخلاق والتقى ،
أي انه كان يرى الشعر « تعليماً » ، ولا يشترط له أن يكون شعراً •

لهذا ، لم يزهنا اعجابه بما سماه « لامية العجم » ، ولم يزهنا المخضرمون
الذين ورثوا هذا الاعجاب ، كما لم يزهنا اعجاب المستشرقين الذين ترجموا - اذ
ترجموا اللامية - قصائد على أكبر حظ من الرداءة الفنية وأقل نصيب من
الشاعرية • لقد كان اعجابهم - أو اهتمامهم - ان شئت - قريناً لاهتمام المخضرمين
وامتداداً لذوق الفترة المظلمة - وهذا ما لا يشرف لامية الطغرائي كثيراً •

انا اليوم عندما نقرأ الطغرائي ونعجب بلاميته قد نكون أصدق نظرة وأدق
حكماً من أسلافنا ، فلم نعد نؤخذ بمكانة الرجل من الدولة والعلم ولا بما للامية من
فخامة اللفظ ووجود البديع و « الامثال والحكم » فقط ، انما يستهويننا - أول ما
يستهويننا عمق التعبير واصالة الشاعرية والاطوار النفسية التي يتقلب بينها الشاعر
وهو يعرب عن أشد أزمة وقع فيها فأصابته في صميم طماحه ، ولقد كان من القوة
بحيث أعرب عن الآخرين وهو يعرب عن نفسه • واذا اختلفنا واياه في هذا المعنى
أو ذاك فيكفيه انه استوعب عصره وعكسه مذاًبا في كلمه يتمكن و « استاذية » •

واذاً فقد احتفظت اللامية بتقدير عصرنا الحديث وأطافت مقاييسه ،
ونجحت اذ سقطت معاصراتها - وعلى رأسها : « اعتزل ذكر الغواني والغزل » ،
وبقيت وحدها من تلك « المتون » مما ستطيع أن يدخل المجموعة الجديدة التي
يمكن أن نختارها اليوم لمهمات المتون في الشعر العربي • أما يكفيها جدة أن
تدرس في كلية حديثة فيعجب بها الطلبة ويقبلون على فهمها وتفهمها ويرون فيها

(٢) ومما يذكر انه جاء على الصفحة ٣٣٨ من المجموع الذي طبعته الجوائب
وضم - فيما ضم - ديوان « الشيخ الامام العلامة ٠٠ ابن الوردي ٠٠ » انه : « ومما
ينسب اليه وقد اشتهر عند الخاصة والعامة ولكن لم يوجد في ديوانه : اعتزل ٠٠
اللامية ٠٠ » •

نصا جديرا بالناية وداعيا للاعجاب •
لقد اجتازت لامية الطغرائي دور التجربة ، ودلت على انها تحمل من عناصر
الفن ما يحفظ لها البقاء طويلا على مر الاجيال واختلاف الاذواق •
ولو تحدثنا بلغة القدماء لقلنا : لو لم يكن للطغرائي الا اللامية لكفاه •

ولكن لا ، اذا كانت اللامية أشهر ما للطغرائي ، فان له الى جوارها شعرا
جديرا بالاعجاب والتقدير لما فيه من اصالة تتجلى في التمکن من اللغة اذ يعرب
بها عن عنف المشاعر مما حفظ له القوة والحياة على مر العصور ، وقد رأينا من
ذلك أمثلة في الرثاء والفخر والشكوى ، وفي أبيات هنا وهناك •
لقد كان الطغرائي أكبر شعراء عصره ، ويمكن عدّه « أميرهم » - اذا
تحدثنا بلغة الامارة ، واعتباره « متسيهم » - مع الفارق • اذا أردنا المقارنة • وفي
ديوانه من الشاعرية ما يتعدى زمانه المعين •

والى مكانة الطغرائي في تاريخ الادب مكانة تذكر في سياسة العصر وادارته ،
بحيث لم يهمله تاريخ ، وبحيث مدحه شعراء مثل اليبوردي والغزي •
أما نهايته فمأساة في بابها ولم يبالغ كثيرا من عدّه شهيدا •

انه رجل استوعب عصره وذاق حلوه ومره • وجود في الاعراب عما عاناه
وعما عكسه ذلك العصر على صفحات نفسه وفي ثايا مطامعه ومطامحه •

أجل ، انه رجل يكون الطماح مفتاح شخصيته ، وتحله شاعريته منزلة
محترمة حفظت للشعر العربي في بدء انحطاطه طراوته ورعت قوته ، وعملت
على مدافعة هذا الانحطاط ما استطاعت بعد أن بدأ ينزل بعد الشريف الرضي • وقد
نستطيع أن نضعه الى صف مهيار وقد نجرؤ فنفضله عليه بهذا أو ذاك •

- المصادر
- الفهارس

المصادر والمراجع

- آقابزرگ - الذريعة الى تصانيف الشيعة ، ج ٩ ، ق ٢ ، ط ١ ، طهران ١٩٥٩ .
- ابن أبي حجلة - ديوان الصباية . القاهرة ١٣٢٨ (على هامش تزيين الاسواق)
- ابن الاثير = الكامل في التاريخ ، ليدن ، ١٩٠٨-١٩٣٤ (من غير نص)
 - تاريخ الدولة الاتابكية - ملوك الموصل ، باريس ، ١٨٧٩ .
 - ابن تغزى بردى - النجوم الزاهرة ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٥ .
 - ابن حجة - بروق الغيث . مخ . ليدن ، رقم ١٠٣٦ .
 - ابن جماعة - التعليقات ، مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ٣٣٦١ من فهرس دسلان .
- ابن خلدون = المقدمة . القاهرة ، ١٩٣٠ .
 - التاريخ (كتاب العبر - بولاق) ، ١٢٨٤-١٨٦٧ .
- ابن خلكان = وفيات الاعيان ، القاهرة (مط . الوطن) ، ١٨٩٩ (من غير نص) .
 - = وفيات الاعيان ، مخ . المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٠٨٥ ، ٢٠٥٢ ، ٢٠٥٠ .
 - = وفيات الاعيان ، مخ . مكتبة وزارة المعارف بطهران .
 - وفيات الاعيان ، طبع كوتنك ١٨٣٩ .
 - وفيات الاعيان ، طبعة ١٣٤٨-١٣٦٧ .
 - وفيات الاعيان ، طبعة دار المأمون ، ١٩٣٦ .
 - وفيات الاعيان : (ينظر البارزي) .
- ابن الخطاط = الديوان (رواية تلميذه محمد بن نصر بن صغير الخالدي القيسراني) تح . خليل مردم ، دمشق (المط . الهاشمية) ١٩٥٨ .
 - الديوان . النجف (العلوية) ، ١٣٤٣ .
- ابن الدهياطي = ينظر الحسامي .
- ابن زاكور - كتاب تفريج أهل الكرب عن قلوب أهل الادب في معرفة لامية العرب ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٢٨ .
- ابن الزيات = ديوان ابن الزيات ، القاهرة (تح . جميل سعيد) ١٩٤٩ .
- ابن شاكر - عيون التواريخ ج ١٢ ، مخ . كمبرج رقم ٢٩٢٢ .
- ابن كثير = البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة . مط . السعادة ١٩٣٢ .

ابن مبارك - نشر العلم في شرح لامية العجم ، القاهرة (٤) ، ١٣٢٠ .
ابن الوردى = ديوان ابن الوردى ، الاستانة ، الجوائب ، ١٣٠٠ (ضمن مجموع
أوله : لامية العرب ٠٠٠) .

- تاريخ ابن المدرى ، القاهرة ١٢٨٥ .

ابو الفدا - تاريخ ابي الفدا ، استانبول ١٢٨٦ / ١٨٧٠ .
الاسكندري (احمد) - الوسيط ، القاهرة (دار المعارف ، ط ١٦) ، تاريخ
الطبعة الاولى ١٩١٦ .

الانطاكي = تزيين الاسواق ، القاهرة ، ١٣٢٨ .

أنوشروان - ينظر العماد (النصره) والبنداري (الزبدة) .
البارزى - مختصر الوفيات . مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ٢٠٦٠ .
البارودى = ديوان البارودى ، مطبعة الجريدة (ضبطه وشرحه محمود الامام
المنصوري - أحد علماء الازهر) .

- مختارات البارودى ، القاهرة ، ١٩٢٧-١٩٢٩ .

البستاني (المعلم) = دائرة المعارف . بيروت ، ١٨٧٦-١٩٠٠ .
برهان الدين - شذرات الذهب (اشعار في الكيمياء) . مخ . المتحف البريطاني ،
رقم ٢٣ .

البصير - عصر القرآن . بغداد . (مط . المعارف) ١٩٤٧ .

البنداري - زبدة النصره ، ليدن ، (تح . هوتسما) ١٨٨٩ (من غير نص) .
- زبدة النصره ، ط . القاهرة ، ١٩٠٠ باسم (كتاب تاريخ دولة آل
سلجوق) - ينظر العماد (النصره) .

حاج خليفة - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . استانبول
١٣٦٠ / ١٩٤١ (من غير نص) .

- كشف الظنون لندن (ط . فلوجل) ١٨٥٠ .

الحضرمي - نشر العلم في شرح لامية العجم ، القاهرة ، ١٣٠٩ .
الحسامي - الاستفادة من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (مصور في المجمع العلمي
العراقي ، ٥٨ م) .

حسن (محمد عبدالغني) - معرض الادب والتاريخ ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
الحسيني (؟) - زبدة التواريخ (في أخبار الدولة السلجوقية) ، لاهور ، تح .
اقبال ، ١٩٣٣ .

الحنبلي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب . القاهرة ١٣٥٠ .
الخاقاني (علي) - مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة ، مجلة المجمع العلمي
العراقي ، المجلد الثامن ، بغداد ١٩٦١ .

خضر (عبدالرحمن) - جريدة الاستقلال ، السنة الخامسة ، العدد ٤٦٩ ،
بغداد ١٩٢٤ .

خليف (يوسف) - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، القاهرة ، دار
المعارف ، ١٩٥٩ .

الخوانساري - روضات الجنات . فارس ١٣٠٤ .

داود جليبي - مخطوطات الموصل ، بغداد ، ١٩٢٧ .

- الدهاميني** - نزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم ، مخ . دار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٤١ . ليدن ، رقم ١٠٠٦ .
- الدهيري** - شرح لامية العجم . مخ . كمبرج رقم ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ .
- الذهبي** - دول الاسلام ، حيدر آباد ، ١٣٣٣ .
- (٩) - العبر في أخبار من عبر . مخ . المكتبة الوطنية - باريس ، رقم ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ .
- الراوي** (طه) - لامية العجم ، مجلة الصبح ، بغداد ، العدد ٧-٥ ، ١٩٣٦ .
- رضائي** (علي) - عود الشباب (مختصر خريدة القصر للعماد) مخ . فينا رقم ٢٤٦ ، نور عثمانية . مصورتان في المجمع العلمي العربي بدمشق .
- الزركلي** - الاعلام ، ط ٢ (عشرة مجلدات) .
- الزخشري** - أعجب العجب في شرح لامية العرب ، الاستانة ، الجواب ، ١٣٠٠ . (ضمن مجموع أوله : لامية العرب ٠٠٠) .
- الزهاوي** - لامية الزهاوي (اندفاعات) ، جريدة العراق ، عدد ممتاز ، ٤٩١ ، بغداد ، ١٩٢٢ .
- ديوان الزهاوي ، القاهرة ، ١٩٢٤ .
- زيدان** = تاريخ آداب اللغة العربية . القاهرة . ط ١ ، ١٩٣٧ .
- الزيات** = تاريخ الادب العربي ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٣٤٩ / ١٩٣٠ .
- سبط بن الجوزي** = مرآة الزمان . ج ٨ (شيكاغو) ١٩٠٧ .
- مرآة الزمان . ج ٨ (جزءان) ، حيدر آباد .
- السبكي** - طبقات الشافعية ، القاهرة ، المطبعة الحسينية ، ١٣٢٤ .
- السمعاني** - الانساب (نشر ماركو ليوث) ليدن ١٩١٢ .
- ذيل تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ، مخ . كمبرج ، رقم ٢٩٢٤ .
- مذيل تاريخ بغداد . مخ . ليدن رقم ٢٦ .
- سركيس** - معجم المطبوعات العربية (حتى عام ١٩١٩) ، القاهرة ، ١٩٢٨ / ١٣٤٦ .
- س . م** (آل المدرس) - ينظر محمود أحمد .
- السويدي** (عبدالله) - رشف الضرب من شرح لامية العرب . مصورة في المجمع العلمي العراقي ، ١٦٥ م .
- السيوطي** = الكنز المدفون ، القاهرة ١٢٨٨ .
- تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين ، القاهرة (المنط . الميمنية) ١٩٠٧ .
- الشاوي** (سليمان) - شرح لامية العرب ، مصورة في المجمع العلمي العراقي ، ١٦٦ م .
- الشبيبي** (محمد رضا) = ديوان الشبيبي ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
- الشرق** - جريدة أصدرها حسين افنان ، بغداد ، العدد ٩ ، ٥٣ ، سنة ١٩٢٠ . (الابيات الخالدة) ، وينظر محمود أحمد .
- الشرواني** - نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن . كلكتا ١٨١١ .

- الشريف الرضي** = ديوان الشريف الرضي ، بيروت ، دار صادر ودار بيروت
 ١٣٨٠/١٩٦١ (من غير نص) .
- شفق** = تاريخ الادب الفارسي . ترجمة موسى هندايي . القاهرة (الفكر العربي) ١٩٤٧ .
- شيخو** (لويس) - مجاني الادب ، بيروت ، ١٩٣٠ .
- صليوا** (المعلم داود) - جريدة صدى بابل ، العدد ٢٧ سن ١ ، بغداد ، ١٩١٠ .
- الصفدي** - كتاب الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، القاهرة ، ١٣٠٥ (من غير نص) .
- كتاب الغيث ، الاسكندرية ١٢٩٠ .
- الوافي بالوفيات ، ج ١١ ، مخ . المجمع العلمي العربي بدمشق ، رقم ٨٧ .
- صفي الدين** (الحلبي) - ديوان صفي الدين الحلبي ، بيروت (صادر) ١٩٦٢ .
- الصنوجي** - ايضاح المبهم في شرح لامية العجم . مخ . المتحف البريطاني ٧٧٧ ، دار الكتب المصرية ١٠١٩ .
- طاشكبري زاده** - مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، حيدر آباد ، ١٩٢٨ .
- الطاهر** (علي) - الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي . ج ١ ، بغداد (مط . المعارف) ١٩٥٨ ، ج ٢ ، بغداد (مط . العاني) ١٩٦١ .
- الطغرائي** = ديوان ، القسطنطينية ، مط . الجوائب ، ١٣٠٠ .
- ديوان ، مخ . المتحف البريطاني رقم ٧٥٥٨ .
- ديوان ، مخ . استانبول (راغب باشا) ، رقم ١١٠٧ .
- = ديوان ، مخ . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، رقم ٧٩١٧ ، ١٥٢٨ .
- ديوان ، مخ . الاسكوريال ، رقم ٣٠٤ .
- ديوان ، مخ . مكتبة الجامعة الاميركية . بيروت .
- ديوان ، (صفحات) المتحف البريطاني . لندن ، رقم ٧٥٣٠ .
- مقطعات في الصنعة . مخ . مكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٦١٨٩ .
- مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة . مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، ٢٦١٤ .
- مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة . مخ . مكتبة سراي ملي .
- عاطف** - ادبيات اللغة العربية . القاهرة .
- العالملي** . (محسن) - اعيان الشيعة ج ١٧ ، دمشق (مطبعة الاتقان) ، ١٩٤٨ .
- العراق** - جريدة يومية ، العدد ٢٢١ ، ٢٩٦ ، ٣٧٠ ، ٤٩١ ، ٥٢٦ ، بغداد ، ١٩٢١-١٩٢٢ .
- العسقلاني** - الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ، حيدر آباد ، ١٣٤٩ .
- علوش** (جواد) - شعر صفي الدين الحلبي ، بغداد ، ١٩٥٩ .
- العماد** (الاصبهاني) - خريدة القصر ، باريس . مخ ٣٢٣٢ من المكتبة الوطنية .

- ينظر عود الشباب لعللي رضائي .
- نصره الفترة وعصرة القطرة . مخ . باريس ٢١٤٦ .
- ينظر البنداري .
- انغزي - ديوان . مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ٣١٢٦ .
- (وينظر ديوان الايبوردي المطبوع ببيروت ١٩١٧) .
- الفاخوري = (حنا) - تاريخ الادب العربي ط ٢ ، بيروت ١٩٥٣ .
- فلووجل - مخطوطات فينا ، ج ١ ، فينا ١٨٦٥ .
- الفلقشندي - نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق ابراهيم الابياري ، القاهرة ١٩٥٩ .
- القمي (عباس) = الكنى والالقب ، صيدا (مط . العرفان) ١٣٥٧-٨ .
- كحالة (عمر رضا) - معجم المؤلفين ، دمشق ، مط . الترقي ١٩٥٧ .
- الكفوي - شرح لامية العجم ، مخ . المتحف البريطاني .
- الكنعاني (نعمان) - شعراء الواحدة . بغداد ١٩٤٥ .
- الذفر وخي - كتاب محاسن اصفهان ، طهران (مط . مجلس) .
- المامقاني - تنقيح المقال في أحوال الرجال . النجف . المط . المرتضوية ١٣٥٠ .
- محمود أحمد - جريدة الشرق ، العدد ٤٦ ص ٣ ، بغداد ، ١٩٢٠ .
- محمود مصطفى - اعجام الاعلام . القاهرة (الرحمانية) ١٣٥٤/١٩٣٥ .
- الادب العربي وتاريخه . القاهرة .
- المرصفي (محمد حسن) - أدب اللغة العربية ، القاهرة ، المط . الحسينية ١٩٠٨ .
- مظهر (اسماعيل) - مجلة الرسالة ، القاهرة ، السنة السادسة ، ١٩٢٨ ، العدد ٥٢٩ ، باب : تأملات في الادب والحياة (الطغرائي الشاعر) .
- الموسوي (العباس بن علي بن نورالدين) = نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس . جزاء (من مؤلفات القرن الثاني عشر) .
- الميناوي - تحفة الرائي للامية الطغرائي . القاهرة . بولاق ١٣١١ .
- الوهابي (خلدون) - مراجع تراجم الادباء العرب ، ج ٣ ، النجف ١٩٥٨ .
- الهاشمي (أحمد) - جواهر الادب . القاهرة ١٣٤٧/١٩٢٨ .
- اليافعي - مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، حيدر آباد ، ١٣٣٧ .
- ياقوت (الحموي) = ارشاد الاريب . القاهرة (طبعة ماركوليوث) ١٩٠٩-١٩٣١ .
- (من غير نص) .
- معجم الادباء (ارشاد) ط . دار المأمون . القاهرة .
- معجم البلدان . لبيبك (تح . وستنفلد) ١٨٦٦-١٨٧٣ .

مراجع بلغات أجنبية

- **الراوندي** — كتاب راحة الصدور (بالفارسية) ، ليدن (اقبال) ١٩٢١ .
• **عوفي** — لباب الالباب (بالفارسية) ، ليدن (براون) ١٩٠٣-٦ .
- Brockelmann — Geschichte der Arabischen Litteratur, 2e ed. Leyde
1943; 2 Vol. in 8e.
- Supplementand. Heyde 1937, 3 Vol.
- Browne (Ed.) — A Litterary History of Persia. Cambridge, 1929.
- وقد ترجم الشورابي الجزء الخاص بالعصر السلجوقي الى العربية ، القاهرة .
- Chapellow — The Traveler ... (Tagroi). Cambridge, Mdcclviii.
- Derenbourg — Les Man uscrits Brabes de L'Escurial, Paris 1884.
- Glouston (W.A.) — Arabian Poetry, Glasgow 1881.
- Hartman — Litteratur Araber. Wien, 1850—1856.
- Herbeloa — Bibliothèque orientale — Dictionnaire Universel.
Paris, 1781.
- Huart — Littérature Arabe, Paris, 1902.
- Krenkow — Encyclopdia of Islam. ar. Tograi.
- Raux (A) — La Lamiyyat al-Adjam d'et-Togr, Paris, 1903.
- Van der Sloot — Poëma Togr. Franf. Cbeel XIX.
- Zambaur — Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'Histoire
de L'Islam, Hanovre, 1927.

وترجمه الى العربية زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود بعنوان زامباور -
معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، القاهرة ١٩٥١-١٩٥٢ .

فهرس الاعلام

لم يرد فيه ذكر الطفرائي وأسماء المؤلفين

ووردت فيه أسماء الاسر والنجل

ابو جمعة (سعيد) - ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١	الأمدي - ١٠٥
ابوفراس - ٢٥	ابن ابي حجلة - هـ ٣٩
الابيوردي - ١٠ ، ٨٦ ، ١٣٩	ابن الاثير - ١٥
الاحدب (ابراهيم) - ١٢٣	ابن الاخوة (عبد الرحمن) - ١٧ ، هـ
اسامة بن منقذ - ١٦ ، ٤٠	٣٨ ، ٤٢ ، ٩٨
اسعد (الطفرائي) - ٣٣ ، ٣٥	ابن افلح - ١٠
اسماعيل (ابن الطفرائي) - هـ ٣٧	ابن اقبرص - هـ ١١٩
اسماعيل مظهر - ١٣٥	ابن بهمينار - ٢٨
الاصبهاني (ابو الفرج) - ١١٢ ، هـ ١١٥	ابن التلميد - ١٠
الاصبهاني - ينظر العماد	ابن جماعة - ١٢٠ ، هـ ١٢١
الاقفهي (غرس الدين) - ١٢٩	ابن حجة - ١٢٠
الانحداد - ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨	ابن الخياط - ٤١
آل محمد - ٢٤	ابن دريد - هـ ١١٥
الب ارسلان - ٨ ، ٢٨ ، ٥٨	ابن الدهان - ١٦
الامامية (دولة الخلافة) - ٣٠ ، ٤٣ ، وتنظر ص ٩ ، ١٣ عن الخلافة	ابن الزيات - هـ ٥٣
امرؤ القيس - ٩٨ ، ١١٠	ابن ساعد الانصاري - هـ ٣٩
الامير العميد - ٣٠	ابن الشبل - ١٠
امير المؤمنين (الخليفة العباسي) - ٥٩	ابن الشمجري - ١٦ ، ٤٠ ، ٤٦
امين الدين علي المستوفي - هـ ٢٠	ابن عمار (صاحب طرابلس) - هـ ٣٤
امين الملك (ابو نصر) - هـ ٤٣	ابن القطان - ١٠
اهل الشام - ٥٧	ابن المستوفي (احمد) - ١٦
الايوبية (المملكة) - ٤٣	ابن الوردي - ١٣٧ ، هـ ١٣٨
الباخرزي - ١٠	ابن هاني - ٦٥
	ابن الهبّارية - ١٠
	ابن الهيثم (محمد) - ٤٠ ، ٤٤
	أبو الاسود الدثلي - ١٩ ، ١١١

حيص بيص - ١٠
الخطير - ٣٠ ، ٣٣
 خلف الاحمر - ه ١١٥
 خليل ايبك - ١٢٤ وينظر الصفدي
الدثلي - ١٤ ، ١١٢
 دبيس المزيدي - ٣٤ ، ه ٣٦
 الدماميني - ١١٨ ، ١١٩ ، ١١٩ ه ،
 ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢
 الديميري (محمد) - ١١٨ ، ١٢٥
الراوندي - ١٥
 الراوي (طه) - ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ،
 ١١٤
 الربيعي (البغدادي - عمادالدين) - ١٢٧
 رو - ١٣٦
زريق - ه ٣١
 الزمخشري - ١٠
 الزندقة - ٣٦
 الزهاوى - ١٣٤
سدبده الدولة - ٤٠
 السلجوقية - ٩ ، ٤٣ ،
 السمعاني - ١٣
 السميري - ٣٣ ، ٣٥ ، ه ٣٦ ، ٣٧ ،
 ٣٨ ، ه ٣٩
 سنجر - ه ٣٧
شاببلو - ١٣٦
 الشافعي (عبد الرحمن) - ١١٩
 الشافعية - ١٠
 الشيببي - ه ١٣٤
 شرف الملك (المستوفي) ه ٢٠
 الشرف الرضى - ٢١ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ١٠٣ ،
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
 ١٣٩
 الشعوبية - ه ١١٥
 الشنفرى - ١١٣ ، ١١٤ ، ه ١١٥ ،
 ه ١١٦
 الشهرزورى - ٤٢

البارغ - ١٠
 البارودي - ١٦ ، ه ٥٣ ، ١٣٠-١٣٢
 الباطنية - ١٠ ، ٣٧
 البحترى - ٦٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ١٠٨
 البرسقي - ٣٥
 البصير (محمد مهسدي) - ٥ ، ٦ ،
 (استاذي) ، ه ١١٥
 بركيارق - ٨ ، ٢٩
 بلاشير - ٦
 البوصيري - ١٣٧
 بنو أبي الجبر - ٩
 بنو مزيد - ٩
 البويهيون - ٨ ، ١٠
 پارو - ١٣٥
 پللا - ٦
 پوكوك - ١٣٥ ، ١٣٦
 تيسي (ميخائيل) - ١٣٤
 ثعل - ٨٧ ، ٨٨ ، ١٣١
جابر بن حيان - ه ٤٤
 جبرين - ٦٤
 جرير - ه ٥٣
 جلال بن خضر (الحنفي) - ١٢١
 جمال الدين (محسن) - ه ١٣٤
 جميل بثينة - ٧٧
 الجواهري - ه ٥٣
 الجويني - ١٠
 جيوش بك - ٣٤ ، ٦٤
حازن طه الراوي - ه ١٤٠ ، ه ١٣٠
 الحريري - ١٠ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٣
 الحطينة - ه ٣٣
 الحظيري - ١٠ ، ١٤
 الحضرمي (محمد) - ١٢٠
 حلاوة (رمضان) ١٢٤
 الحلبي - ينظر صفي الدين
 الحموي - ينظر ابن حجة
 الحنبلية - ١٠
 الحنفية - ١٠

الغزالي - ١٠
 انغزى - ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٣٩
الفتوة - ١٠
 انفرزدق - هـ ٥٣
 قاتيه - ١٣٥
 فان درسلوت - هـ ١١٩ ، ١٢١ ،
 ١٢٨ ، ١٣٥
الفائم - ٩
كارلايل - ١٣٦
 كرنكو - ١٣٥
 كعب (ابن زهير) - ١٢٧
 الكفوى - ١٢١
 كمال الدولة - ٢٨
 كيخسرو قليج - ١٥
 كنانة - ١١٢
 الكنعاني - هـ ١١٤
 گلوستن - ١٣٦
كبيد - ١٠٨
 انليشى - هـ ١٩ ، هـ ٣٩
مؤيد الملك - ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣
 المارستاني (عبدالله) - ٤٠
 المتنبي - ٢١ ، ٦٥ ، ١٠٣ ، ١١٦ ،
 ١٢٧-١٢٨ ، ١٣٩
 مجد الملك - ١٥ ، ٢٩ ، ٥٩ ، ٦٠ ،
 ٦٣ ، ٦٢
 محمد (السلاجوقي) ٨ ، ٣٣ ، ٣٩ -
 محمد (ابن الطغرائي) ٣٤ ، هـ ٣٧
 محمد (ابن حفيد الطغرائي) هـ ٣٧
 محمد عبدالغنى حسن - هـ ٤٢
 محمود أحمد (المدرس) - ١٢٣
 محمود بن ملكشاه - ٨ ، ١٧ ، ٣٤ ،
 ٣٥ ، ٣٨ ، ١٣٨
 محفوظ (حسين) - ١٢٥
 مخلص الدين (ابن اخت الطغرائي) -
 هـ ٣٧
 المدني (جلال الدين) - ١٢١
 المرصفي - هـ ٤٢

الشيرازى (ابو اسحاق) - ١٠
 الشيعة - ١٠ ، ٣٧ ، وينظر آل محمد
 ص ٢٤
صردو - ١٠
 صلاح الدين - ١٢٣ وينظر الصفدي
 الصنعدي - ١٤ ، ١٦ ، هـ ٣٩ ، ٤٢ ،
 هـ ٨٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
 ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٧ ،
 ١١٨ ، ١١٩-١٢٢ ، ١٢٣ ،
 ١٢٤ ، ١٢٧ ،
 صفى الدين - ١٢٧-١٢٨
 صليوا (داود) - ١٣٢
 الصنهاجي - ينظر ابو جمعة
 الطبرى (علي بن قاسم) - ١١٩
 طغرلبك - ٨
 طه حسين - ١٣٥
الظاهر - (غازى بن صلاح الدين) هـ ٣٧
العباس بن الاحنف - ٥ ، ٨٠
 عبدالرحمن حياوى - ٧
 عبدالرحمن صدقى - هـ ٥٣
 عبدالرحيم بن عبدالرحمن - ١٢١
 العجم - ١١١
 عزيز أباظة - هـ ٥٣
 عز الدين (بن حامد المستوفى) - ١٦ ،
 ٧٥
 عسكر الشام - هـ ٣٥
 علي (ابن الطغرائي) - ٣٢ ، هـ ٣٧
 العرب - ١١١
 العروضى (محمد بن منصور) - هـ ٣٩
 العكبرى (عبدالله) - ١١٧ ، ١٢٢
 علي رضائى - ١٤
 العماد - ١٤ ، ١٥ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ١١٢ ،
 ١١٣ ، ١٣٧ -
 عمر ابن أبى ربيعة - ٧٧
 عمر بن الخطاب - هـ ١١٥
 عنتره - هـ ٣٩
 العيازون - ١٠

مهيار - ١٩٣
النايعة - ٦٥
ناظم باشا - ١٣٢
النصر (أخو السميرمي) - ٣٥
نظام الملك - ٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ،
٥٦ ، ٥٧-٥٩ ، ٦٣
(وتنظر ص ١٠ النظامية)
الوادياشي (أحمد) - ١٢٧
هارون - ١٣٤
الهاشمي (أحمد) - ١٢٩
هرث - ١٣٥
ياقوت - ١٤ ، ٤٣
يحيى (حفيد الطغرائي) هـ ٣٧
اليعمري (نورالدين ابن فرحون) ١٢٤ ،
هـ ١٢٩
يوسف خليف - هـ ١١٥

المسترشد - ٩
المستشرقون - ١٣٨
المستظهر - ٩ ، ٢٢
مسكويه - ٥
مسلم بن الوليد - هـ ٥٣
مسعود (السلجوقي) - ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥
٤١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٣٧
مظهر - ينظر اسماعيل مظهر
المعري - ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
١١٠
معين الملك - ١٤ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٥٤ -
٥٧ ، ٦٣
المقتدى - ٩
الملك الاشرف - ١١٩
ملكشاه - ٨ ، ٢٩ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٤
الميناوي - ١٢٢

فهرس الامكنة

(مدن ، أقطار ، أنهار)

- | | |
|--------------------------------------|----------------------------------|
| ديار بكر - ه ٣٥ | الاجرع الفرد - ٧٧ |
| الديار المصرية - ١١٨ | اذربيجان - ٦٤ ، ٣٤ |
| الروم - ١٢١ | الاسكندرية - ١٢٣ ، ١١٨ |
| العذيب - ٧٧ | أصبهان - ٨ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٩ ، |
| العراق - ٦ ، ٣١ ، ٧٠ | ٣٢ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ١٢٣ |
| الغور - ٧٧ | اضم - ٨٧ |
| الزندروذ (نهر) - ٢١ | بغداد - ٨ ، ٩ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٦٥ ، |
| الزوراء - ٦٥ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، | ٧٠ ، ٩٦ ، ١٠٤ (وتنظر |
| ١٢٥ | الزوراء ومدينة السلام) ، |
| الفرات - ٥٧ | ١٣٣ ، ١٣٤ |
| القاهرة - ٦ ، وتنظر الديار المصرية ، | البطائح - ٩ |
| مصر | بلاد العجم - ٦ |
| كلية الآداب (القاهرة) - ٦ | باريس - ٦ |
| كلية التربية - ٥ | ثعل - ٨٧ ، ٨٨ |
| مدينة السلام - ٣ ، ٩٥ ، ١١٣ | جرباذقان - ١٤ |
| مسجد (الطغرائي) - ه ٣٧ | الجرعاء - ٧٧ |
| مصر - ه ٣١ ، ١٣٢ | الجزع - ٨٨ |
| مكتبة النهضة - ٧ | جزيرة العرب - ٧٦ |
| مكة - ١٢١ | جي - ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ |
| الموصل - ١٥ ، ٢٣ ، ٣٤ ، ه ٣٧ ، | جيجان - ٥٧ |
| ٦٤ ، ١٣٧ | الحجاز - ٧٧ |
| نجد - ٧٧ | الحلة - ٩ ، ٣٤ |
| النيل - ٩ | الحمي - ٧٧ |
| وادي العقيق - ٧٧ | دار الكتب المصرية - ٦ |
| همدان - ٣٥ | دار المعلمين العالية - ٥ |
| | دمشق - ١٢٤ |

فهرس الكتاب

مقدمة	٥
كلمة في العصر	٨
حياة الطغرائي	٤٦- ١١
مصادر الدراسة	١٨- ١٣
مولده ونشأته	٢١- ١٩
زواجه	٢٢- ٢١
مع معين الملك	٢٩- ٢٢
مع نظام الملك وغيره	٣٠- ٢٩
طغرائي	٣٠
عام ٥٠٥	٣٢- ٣٠
طغرائي	٣٣- ٣٢
وزير في الموصل	٣٥- ٣٣
قتله وأسبابه	٤٠- ٣٥
آثاره	٤٥- ٤٠
شعر الطغرائي	٨٣- ٤٦
مقدمة	٤٨
رثاء زوجته (وأصالته)	٥٤- ٤٨
المديح (وقيمتها التاريخية)	٦٥- ٥٤
الفخر (وأصالته)	٧١- ٦٩
الشكوى (وأصالتها)	٧١- ٦٩
التشاؤم (وفلسفته)	٧٤- ٧١
نصائح	٧٤
الجانب الضاحك	٧٦- ٧٤
الوصف	٧٦
الغزل (التقليدي)	٨١- ٧٦
خاتمة	٨٣- ٨١

لامية الطفرائي

١٣٦- ٨٤

النص محققا	٩٤- ٨٤
التحليل والتعليل	١٠٢- ٩٥
اللامية عبر التاريخ	١٣٦-١٠٣
١٠٣ - محاولة رد أبياتها الى اصولها !	
١١٠ - في البلاغة واللفة	
١١١ - ليست لامية العجم	
١١٥ - لماذا تناقلتها الالسن	
١١٧ - شروحها	
١٢٤ - معارضتها وتشطيرها ...	
١٣٥ - ترجمتها	

خاتمة

١٩٣-١٣٧

المصادر والفهارس

١٥٥-١٤٠

المصادر والمراجع	١٤١
فهرس الاعلام	١٤٩
فهرس الامكنة	١٥٣
فهرس الكتاب	١٥٤

